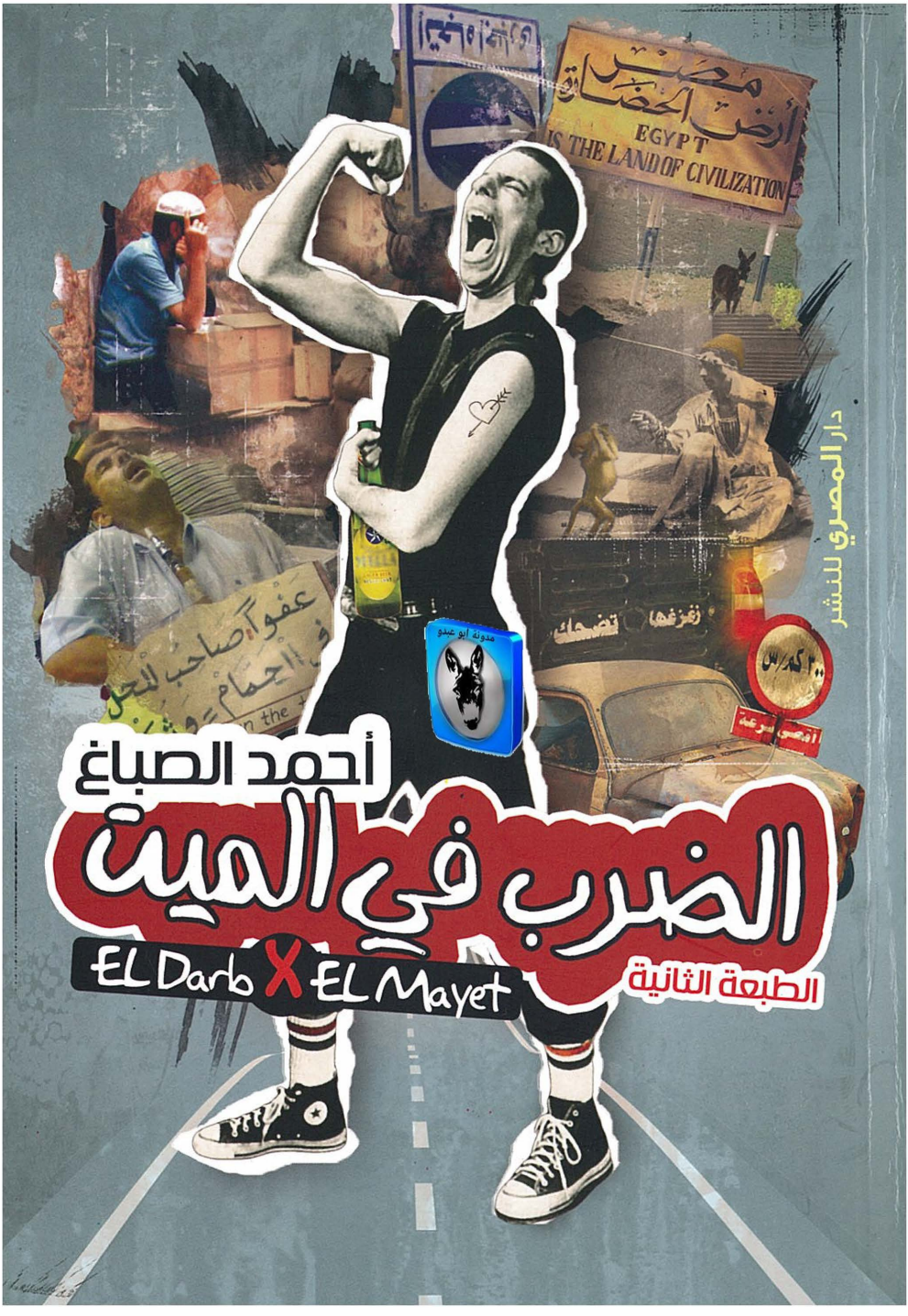
أرض مصر الحضارة
EGYPT
IS THE LAND OF CIVILIZATION
مدونة أبو عبدو
دار المصري للنشر
أحمد الصباغ
الضرب في الميت
EL Darb X EL Mayet
الطبعة الثانية

الضَّرب في الميِّت

الضَّرب في الميِّت

أحمد الصباغ

الطبعة الثانية/ ٢٠١٠
حقوق النشر محفوظة

دار المصري للنشر والتوزيع

دار السلام/ القاهرة

ت: ٠١٤٦٣٣٥٠٩٨

٠١٨٢٣٤٣٨٧٩

Email: elmasrypublishing@gmail.com

المدير العام: يوسف ناصف

المراجعة اللغوية: مجموعة ضمة

المراجع: محمد طاهر

الغلاف: عبد الرحمن الصواف

رقم الإيداع: ٢٠١٠/ ١٨٨٧

الترقيم الدولي: 978-977-6378-00-1

الضَّرب في المليِّت

كتاب مصرى ساخر

أحمد الصباغ

دار المصري للنشر

إهـــداء

إلى الثلاثين التي مرّت من عمري في ندالة واضحة
وإلى ما تبقّى منه من لحظات، أو ساعات، أو سنين:
خليكوا جدعان وعلى مهلكم.
إلى الست (أم أحمد) العظيمة.. وروح أبي الطاهرة
إليكَ أنتَ أيها القارئ العزيز
حبًا، وصداقة، ومودّة خالصة من قلبي
كلام في سرك يعني.. الإهداء ده
(من أجلكَ أنتَ)
بس ما تجيبش سيرة

مقدمة

الضَّرب في الميِّت بكام

تدخُل المكتبة في هدوء، تغلق خلفك الباب الزجاجي في شياكة، الباب الذي نقلك من حر، وزحمة، ودوشة الشارع، إلى هدوء، وبرد، وشياكة المكتبة. تفرد قامتك بشدة، تتنسَّم هواء التكييف في سعادة ولذة. تلمح تلك الفتاة الأنيقة ذات الشَّعر الكيرلي التي تصفِّف الكتب في رقة وبشارة، تسير أعينك بسرعة في الكتب المصفوفة بنظام شديد على الأرفف، تمر على مئات العناوين المُتراصة، تصطدم عيناك بكتاب مكتوب على غلافه (الضرب في الميت) تحدِّق في الاسم المكتوب بجوار العنوان، يبدو لك لوهلة أنك تعرف هذا البني آدم معرفةً شخصيةً، لكن لا تذكر أين ومتى.. تشعر ناحيتي بالشفقة؛ اعتقادًا منك أن (الضرب في الميت حرام) أو لأنك مثلي كائن قد وُلد ليحيا فوق سطح الأرض مضروبًا، ويتم رزعه كل صباح علقة ساخنة في المواصلات، والعمل، والشارع، والبيت، وعلى عربيات الكبدة، وفي محلات الكشري، وأمام شاشة التليفزيون، وعلى المقهى، وبين ورق الجرائد، وعلى سطور الأخبار، وعلى صفحات الفيسبوك،

ويموت مرات ومرات كل صباح في إشارات المرور، ومرور إشارات العمر من بين عينيه، وينهزم آلاف المرات في طوابير العيش والجمعية، إلا أنه – ويالغرابة – لا يزال سعيدًا ومستمتعًا بلذة الألم.

تمتد يدك إلى الأرفف متناولًا الكتاب في ترقبٍ وشفقةٍ على ذلك الميت المضروب، وتفتح صفحات الكتاب. تقربها من أنفك خوفًا من وجود روائح جثث، تشمُّ رائحة الورق الأنيقة، تطمئن وتقرِّبه إلى وجهك، وتبدأ في استكشاف حال ذلك الميت المضروب، تكتشف أنه أنت، وأن كاتب هذا الكتاب قد انضرب من زمان حتى الموت، وأنه قرر بدلًا من الصراخ والصويت، أن يتبرع بالكتابة عنك.

تقلب الكتاب على ظهره بسرعة، ولسان حالك يقول: "الضرب في الميت بكام؟" لكنك لا تجد سعرًا، فتنظر إلى الكاشير لحظة، وتسعد بوجود شخصٍ آخر يحمل في يديه نفس الكتاب، وتضع يدك في جيبك متجهًا ناحيةَ ذلك الكاشير المبتسم.

تعود إلى حر الشارع، ودوشته، وزحمته، والميادين الممتلئة بالبشر، والشوارع المكتظة بالسيارات، والأوتوبيسات، وأمناء الشرطة، والباعة، وتسير حاملًا "الضرب في الميت" إلى أن تغيب في وسط البشر.

أحمد الصبّاغ

القاهرة في نوفمبر ٢٠٠٩

لا تُجبر الإنسان ولا تخيِّره
يكفيه ما فيه من عقل بيحيِّره
اللي النهاردة بيطلبه ويشتهيه
هو اللي بكرة ح يشتهي يغيِّره

صلاح جاهين

الإنسان وزعابيبُه

ألبوم صور

الحياة شكلها باضت

الإنسان أساسًا كائن بدون ريش، ولا أجنحة، أو قشرة، أو عُرف، أو ليّة، أو منقار، يمشي على أربع بعد الولادة ولمدة سنتين، ثم يبدأ في استخدام اثنين للمشي، واثنين للغلاسة على باقي البشر.

والإنسان علميًّا من ذوات الدم الحار، لكن أحيانًا تقابل بني آدمين من المستحيل أن يكونوا أصحاب دم حار، أو بارد، مستحيل يكون عندهم دم أصلاً..

وقام الإنسان من باب الهزار باستخدام أسماء الحيوان للشتيمة، مع أنك تكتشف أن أغلب الحيوانات تحمل صفات الوفاء، والأمانة، والصدق، والالتزام، وتوصَف الدنيا - بطريق الخطأ - بالغابة، ولا يعلم الجهلاء أن الغابة لها نظام وقوانين، ولا قوانين حمورابي، ولا يأكل الذئب أخاه، ولكن للذئب وظيفة مكتوبة في بطاقته الشخصية هي أن يأكل الأرانب والغزلان، ولا يتعدّى وظيفته هذه، ولا يأكل أخوه الذئب في يوم من

الأيام، وإن أغلب البشر لو اتصفوا بصفات الحيوان لصارت الدنيا جنة.

والإنسان أحيانًا يتصف بصدق بصفات الحيوانات، والعصافير، والفراخ، والبيض، وتنطبق عليه صفات حيوانية نبيلة، أو غير نبيلة.

انظر حولك، سترى مزيجًا من الصفات العجيبة اخترعتها الكائنات، ولطشها الإنسان:

الكائن الفرخة

هو إنسان ينتهي يومه في الثامنة مساءً، ويسدل الظلام أستاره على الكون خلف شباك نافذته، وتغيِّم في عينيه السماء فيتثاءب ويتمطع..

لم يشهد مطلقًا تغيير الساعة عند منتصف الليل، بل لا يعلم أساسًا أن اليوم يحتوي على ساعة تسمى الثانية صباحًا، فعندما تأتي الثامنة يذهب للحاق بوليمة الأرز الملائكية.

يرفع البني آدم الفرخة شعار نمْ مبكرًا، واستيقظ مبكرًا، في الوقت الذي أصبح من الصعب على البشر العادي النوم ضد التيار، ومواجهة عدوان الدش، والكمبيوتر، والإنترنت، والتليفونات.

وغالبًا ما تكون أسرة الكائن الفرخة من "النوع الفراخي" أيضًا، وعندما تتصل به تليفونيًا في التاسعة مساءً يرد عليك شخص بين الحياة والموت،

قادم بالأسانسير من دهاليز البطانية، ليقابل اتصالك بدهشة عارمة قائلًا: ده يابني نام من بدري!.

ديك البرابـــر

نستيقظ الفجر على صوت الديك..

والديك لمن لا يعرفه، هو كائن ذو عُرف، وهو أول من يستيقظ من أسرته التي تتكون من حوالي خمسبعتاشر فرخة، هنَّ زوجاته، بالإضافة إلى حبة بيض، هم ديوك وفرخات المستقبل، بينما هو الذكر الوحيد في العشة؛ لذلك يطلق عليه ديك البرابر.

وحيث أن الديك هو الذكر الوحيد في وسط هذا المجتمع الأنثوي، وأنه الوحيد الذي له القدرة على الأذان، بينما باقي الفراخ آخرهم "باااق.. بااااق" فإنه يؤذن في جلالة، وينفش ريشه بشدة، ويرفع رأسه حتى تخبط في سقف العشة. ويمثل هذا الأذان النهرة التي توقظ مجتمع البني آدمين، ومجتمع الفراخ على السواء، فتقوم الدجاجات مذعورة كل إلى مهمتها، هذه تنظف العشة، وتلك ترتب البيض، وأخرى تواصل الرقاد قائلة في غباء "باااق.. باااق".

والإنسان الديك، هو بني آدم على شكل ديك فيما عدا العُرف والمنقار، منحَته الظروف -ابن المحظوظة- أن يكون محاطًا بأورطة بنات، فيلقى

من الرعاية، والاهتمام، والدلع الكثير، وسواءً أكان أخًا على شوية بنات، أو الولد الوحيد وسط شلة من بنات الجامعة، فإنه -ابن المحظوظة- يعاني من كراهية، وغل، وحقد، وضغينة، ونفسنة أقرانه الذكور.

وغالبًا تستطيع أن تميِّز البني آدم الديك من عدة أشياء مهمة:

١- يعتبر إلقاء السلام عليك (باعتبارك ذكر) رفاهية لا داعي لها، إلا إذا كان في ذلك مصلحة محددة، بينما إلقاءهُ على البنات هو فرض عين على كل ديك.

٢- يمشي متقمِّصًا شخصية ديك، نافشًا صدره، متأنقًا على سنجة عشرة، ساحبًا وراءه عدة عشرات من الإناث.

٣- يكون أغلب كلامه في صورة إشارات، فبإشارة يتضح أنه -ابن المحظوظة- جعان، فتهب الأم بتجهيز الطعام، وتهب الأخوات البنات بعمل الشاي، وبإشارة يفهم أنه (عايز المحاضرة) فتهب زميلات الجامعة بإخراج الكشاكيل والملازم، وتهب الصديقات بتصوير المحاضرات.. وهكذا.

غالبًا ما يكون الكائن الديك هو محط أنظار وخوزقة أقرانه الذكور -على قد ما ربنا يقدرهم على فعل الخير- خصوصًا تلك الفئة التي يعرفون بين البشر باسم "قرد قطع".

قرد قطع

يعتبر "القرد قطع" هو الوجه الآخر لـ "ديك البرابر"، وهو كائن يعيش وحيدًا بين أربع حيطان، ويعاني من قلة الأهل والأصحاب، وقلة الزملاء في الجامعة. يمارس الحقد على الكائنات التي تعيش في جماعات، ويمارس الغل والضغينة على ديك البرابر، وما أن يراه ينعم في وسط أورطة من الجنس الناعم، حتى يشتعل بالبغضاء، ويتطاير حقد أسود دفين منه.

أنا شخصيًا عانيت، ولفترة ليست بالقليلة من حالة قرد قطع، خصوصًا بعد زواج أخواتي الثلاثة، وانفرادي بالمنزل، وتحوُّلي من حالة ديك برابر عظيم، إلى حالة قرد قطع كئيب.

الكائن النِّمس

هو كائن ما أن يرى من الدنيا فساتينها، وعيونها، وروموشها، ونهودها، حتى ينتبه وتلمع عيناه، ويبدأ في تسريح شعره، وتنسيق ملابسه، والتعطر، وتلميع الحذاء، وغزل شبكة ناعمة حول الأنثى.

ويحمل الكائن النمس كمًّا هائلًا من الطاقة يظهر حال تواجد نون النسوة في سطور حياته، أو كلما أتى ذِكر تاء مربوطة، بينما هو مع صديقه الرجل يتعامل كما الغاز الخامل، لا ينشط إلا إذا أكّد صديقه أن صديقتهم "فولانة" قادمة في الطريق.

الكائن العصفورة

هو بني آدم على شكل عصفورة، وهب أذنيه ولسانه لصالح الرئيس (رئيس جمهورية، رئيس قسم، رئيس حزب، أمين اتحاد طلاب، أدمن جروب في الفيسبوك..الخ)، ويسمى في الأوساط الشعبية "الناضورجي".

وحكاية الكائن العصفور تبدأ منذ تولّي البني آدم كرسي القيادة في أي منظومة دولة كانت، أو قسم، أو إدارة، أو تولي إمرَة جماعة ما، فبما أنّ للرئيس جوز عيون واحد، فإنه يستعين بعدة أجواز عيون أخرى؛ للاطمئنان على ما يدور خلف ظهره.

ومن المفارقات اللطيفة تعيين اللواء (سميح عصفورة) مديرًا للمخابرات العامة بالأردن!

الكائن الحمامة

هو شخص زيتونيُّ المنشأ، يعشق لعب دور حمامة تحمل غصن زيتون في الخناقات، عن طريق وضع الخناقة في التلاجة، وغالبًا ما يكون الكائن الحمامة هو الأكثر حصولًا على الخوازيق، فيما اصطلح عليه شعبيًا "ماينوب المخلص، غير تقطيع هدومه".

الكائن الخروف

غالبًا ما يكون "حما" مطيع لزوجته دائمًا، وبنته في أغلب الأحيان، فإذا كان الخروف يُستخدم لتوفير اللحوم في العيد، فهذا الكائن الخروفي يستخدم لتوفير الفلوس وقت الحاجة، وغالبًا ما يكون سعيدًا بهذا الدور سعادةً بالغةً، وتقوم الأنثى بتلميعه فيما يُعرف شعبيًا باسم "خيال المآته".

الكائن الضفدعة

هو ضفدعة على شكل مطرب، يتواجد في الأماكن الرطبة، والميكروباصات، والتكاتك، يخرج من فمة أشياء يمتزج فيها الكلام بالخضروات والفاكهة (العنب.. العنب.. العنب) و(الخضار.. الخضار.. الخضار) ويتبادل عبارات الود والتحية مع إخوانه وبني جنسه، مثل: بحبك يا حمار.. ويعتبره علماء الأنثروبولوجيا تطورًا طبيعيًا للضفدعة.

الفرقع لوز

هو كائن ضئيل الجسم، خفيف الظل، سريع البديهة، لمض اللسان، يظهر لك في أحلك المواقف فيحيل المأساة للوحة ساخرة تشحذ كل انتباهك، وكان "الضيف أحمد" هو أشهر وأجمل من وُصف بلقب "فرقع لوز" في تاريخ السنيما المصرية.

الكائن البيض

البيض مكوِّن غذائي مهم في حياتنا، نسلقه في إفطارنا، ونقليه في عشائنا، ونمزجه بالطماطم وبالفول في غدائنا، ونلونه في شم النسيم، ونرقد عليه باقي أيام السنة..

إلا أنَّ البيض إذا ما تُرك لفترة "يمشش" ويصبح غير محتمل الشم، أو اللمس، ويتحوَّل ذلك الكائن الهش الرقيق إلى ما يشبه الجيفة النتنة، فنلقي به في عين "التواليت" عن طيب خاطر.

والبيض له شكل بيضاوي، ويتكوَّن من صفارٍ، وبياضٍ، وقشرة، ومنه الأحمر والأبيض، وبيض نعام، وبيض فراخ، وبيض بط وكافيار، ومنه أبو صفارين، ومنه أبو صفار واحد..

والبيض صفة..

أي والله، البيض الممشش يصلح لأن يكون صفة لنوعية من البشر.

هؤلاء النوعية التي كرمها الله كما كرم باقي بني أدم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ فأبوا إلا أن يكونوا لا آدميين متخليين عن صفات الرُّقَي، والجدعنة، والصراحة، والطيبة، والصفاء، والنقاء، واللطف، والظرف، والشهامة، والرجولة، والنخوة، والكياسة.. ويلقون بها في أقرب صفيحة زبالة، ليصبحوا بين البشر.. بيض.

إذًا.. فالبيض صفة مكتسبة، والله لا يخلق قبيحًا، والكائن البيض هو

شخص باع فطرته –التي خلقه الله عليها – في أول ناصية، ولم يرتضِ إلا أن يكون سيئًا حتى لو تم وضعه في باقة ورد، فسيظل يحمل شكل "البيضة" بالمخالفة.

وإذا نظرت حولك، لوجدت كرتونة بيض تحيط بك من كل ناحية، لكن لأنك تحمل بداخلك إنسانًا جميلًا، فأنت غالبًا ما تكتفي بالنظر إلى "الشخص البيض" على أنه حالة استثنائية، ولا تحتاج إلى كرتونة تصنيف كبيض..

ومن أهم أنواع الناس البيض، شخص يظهر في حياتك على شكل مؤخرة ترتدي ثوب الحكمة (تخيل إنت بقى مؤخرة، ولابسة ثوب حكمة، هيبقى شكلها عامل إزاي)، وبين الأصدقاء يمارس الاستنطاع، وبين الزملاء يمارس الخوزقة، وبين المسؤولين يدلي بتصريحات صفراء فاقعة المرارة.

وللكائن البيض وظيفة أساسية في كل ركن من أركان حياتك:

بين الأصدقاء:

١– يعتبر أن حب الناس لك هو استثناء غير طبيعي، وأنك لا تزيد دراعًا أو رجلًا عنه، فلماذا يحبونك أنت وهو لأ؟ وتجده في تجمعاتك مع الأصدقاء دائمًا على مقربة منك حتى يستطيع تصيُّد أخطائك، ويجعلها أضحوكة، وطبعًا لأنه بيض (هش) فتُضحِك أنت طوب الأرض عليه.

٢- يمارس الاستنطاع، تعزمه، وتسلفه، وتتصل به، ودائمًا طريق الصداقة بينك وبينه طريق اتجاه واحد.

عند الاختلاف معك:

١- يبدأ في الشكوى لطوب الأرض، وعد الجمايل التي أسداها لك، بادئًا كلامه بأن لحم كتافك من خيره، وبأنك لولاه لما كنت شيئًا يُذكر، حتى يكتشف المستمع أن الخدمات هي أنه عزمك على شاي في اليوم الفولاني، وحمل لك الكاميرَا حتى تغسل وشك في اليوم العلاني، وسلفك كلينكيس في اليوم التباني إلى آخره من الخدمات الجليلة العظيمة التي كانت سببًا في تنمية لحم كتافك، كما هو واضح.

٢- قديمًا قالوا عدو حكيم خير من صديق أحمق، وحديثًا نقول عدو حكيم خير من صديق بيض.

في المدونات والمواقع:

يلبس ثوب الواعظ، ويحيلك في ثانية إلى (أبي لهب) ويدعوك للتوبة والاغتسال، رغم أن ما كتبته هو محض مناقشة، ومحاولة للتفكير والوصول إلى الصواب، أو يدخل كشخص مجهول حتى يلقي ما لذّ وطاب من الشتائم القبيحة، وغالبًا ما تكون بالأم..

على الفيسبوك:

لا يقول كلمة طيبة أبدًا، فدائمًا رأيه يكون في صورة (بيض وطالع له حروف) سواءً أكان رأيه مدحًا أو ذمًّا، تقبلًا أو رفضًا، سعادة أو استياءً.. وغالبًا ما تقف أمام تعليقاته بالساعات، فتفشل في فهم ما يرمي إليه، لأنه دائمًا ما يحمل معاني ما وراء الكلمات تلقيحًا وتلميحًا، وتعرفه بسيماته من أثر البيض، حينما ينصحك بممارسة هواية أخرى؛ لأنك فاشل في هذه الهواية، وهي النصيحة التي قد تجبرك على ممارسة فعل "البيض" لمدة "تعليق" من الزمن، إشمعنى أنت يعني؟

متعاص دين:

شخص بيض يقحم الدين في كل كلامه فقط، ولا يعرف التديُّن إلى سلوكه سبيلًا، وهو تمامًا عكس الشخص الذي تعكس سلوكياته دينه، وعقيدته، وإيمانه بالله، ثم يأتي التشدُّق بالكلام الحلو في آخر المظاهر.

في مترو الأنفاق:

ينصحك بالقيام لرجل كبير، أو سيدة كبيرة، وهو يجلس بجوارك كما الهيلف، تستطيع أن تنظر له بحقد وكراهية، وأن تنصاع حتى لو كنت مش قادر تصلب طولك أو رجليك وارمة..

في الأوتوبيس:

في صورة كمسري (الأتوبيس جوة فاضي) أو سوَّاق (الطلوع من

ورا يا حاج) أو راكب (والنبي تشيل لي المعزتين دول على حجرك يابني) أو واحدة ست (ما تحكـش وانت معدّي) وهي أساسًا واقفة سدّة طرقة الأوتوبيس والأتوبيس اللي جنبه.

الوزير البيض:

الذي يطل برأسه من بين ضحايا العبّارة، والدويقة، والأوتوبيس، والقطار، ليعلن إن البلد ماشية زي الفل، وإن الدولة لا تدّخر مجهودًا من أجل رفاهية المواطنين. على أساس إن الحوادث دي تغيير جو؟

البيض بيضك:

يحمل اسم "تامر" وأحيانًا "تامر أمين الشرطة"، وأحيانًا يسمى "محمود" خصوصًا عندما يستضيف مدير مصلحة السجون، ويزور معه الزنازين، فتكشفت أن السجون المصرية جنة الله في أرضه، لدرجة تجعلك تسارع بارتكاب جريمة.

في الجرنال الحكومي:

تجده قطًّا ممتازًا يكتب عن كرتونة البلح التي أصر الرئيس أن يدفع ٦٥ جنيه ليستلمها من الجمارك، وقد أشيع كذبًا أن مقرّ الجرنان سيتحول لمقرٍّ لتصنيع كراتين البيض.

الجار البيض:

الذي يلمح في إيدك شنطة، قد تحتوي على شيءٍ طويل وأخضر،

فيتنحنح ويسألك: هو كيلو الخيار بكام يابني؟ أو شيء مدور وأحمر فيطلب منك قوطايتين سلف..

والبيض غلي، وهو أمر مُحزن جدًّا لكل عشاق البيض في مصر والعالم، لكن الكائن البيض رخص، وأصبحت الناس من الكفاءة لأن تميزه من بين كرتونة الحياة.

إلَّا صحيح، أكلت بيض النهاردة؟

لقمة عيش

يموت الناس فيسترزق الحانوتي، ويحترقون بالنار فيبتسم الرزق لطبيب الجلدية المعالج للحروق. ويُسرقون، ويقتلون، ويُغزَّون بالمطواة فيصب الخير، وتصب الترقيات على حا الظابط وحا الشاويش. ويمرضون فتدق البركة أبواب عيادة الدكتور والمستشفيات. ويتخانقون، ويختلفون، ويتلاعنون، ويسبون الدين لبعض فيسترزق المحامي. ويقعون في المخالفة فيبتسم الصَّباح لرجل المرور الواقف شاهرًا دفتر المخالفات كالسيف.

إنها لقمة العيش يا عم الحاج، لكنها لقمة عيش تختلف عن تلك اللقمة التي ترسمها براءتنا في مخيلاتنا، مختلفة عن الصورة التي تسكن أذهاننا عن لقمة العيش التي تنشر الخير على الجميع، الزبون وصاحب الدكان على السواء.. إنها لقمة عيش من نوع خاص.

هذا النوع من (السبُّوبة) فيه الأذى كل الأذى للزبون، وفيه الرزق واليُسر لصاحب الدكان، فيها الشر للبشر، وفيها البغددة لعم (غنيم)

الحانوتي، ودكتور (أنور) طبيب الجلدية، وحا الظابط (مُرسي)، وحا الصول (بهيج)، وعم (فرغلي) السجان، والأستاذ (سمير) الصحفي بجريدة الحوادث.

ولكم هي حياة غريبة، مليئة بالمفارقات العجيبة..

في الأحوال العادية يكون الدعاء بسعة الرِّزق دعاء طيبًا وجميلًا. تخيل معي (عم عبده) البقال مثلًا عندما يستيقظ من النوم، فتهب زوجته مودعةً إيَّاه إلى دكانه بالدعوات والأمنيات الطيبة، بأن يفتح الله شهية الزبائن للجبنةَ الإسطنبولي، والبيض البلدي، واللانشون البيف، والزيتون الكالاماتا، والزبادي، والمربى، والتوست.. فتنفتح في وجهه أبواب الخير الواسع، والرزق الوفير، ويرجع مجبورًا شاكرًا ربه.

لكن تخيل تلك الدعوات التي تدعوا بها زوجة الدكتور (أنور) طبيب الجلدية المعالج للحروق..

عندما يستيقظ الدكتور (أنور) ويقف أمام باب الشقة يهندم بدلته، فتودِّعه زوجته إلى العيادة، مؤدية دورها كزوجة صالحة فتدعو له قائلة: "ربنا يجعل في وشك القبول، ويحرق لك عشرين نفر قادر يا كريم".

ودعنا نتخيل هذه الفئة من البشر، عندما يضيق بها الرزق فتشتكي لأقرانها. أنظر هذا الحوار بين (عوف) و (لمعي) اثنين حانوتية:

- عامل إيه الأيام دي يا شيخ لمعي؟

- والله يا شيخ عوف، الحال ما يسرّش، فين وفين لما واحد يموت.

- ياساتر يارب، ليه كدة؟ (ثم يبتسم في فخر) أنا الحمد لله، بيموت عندي في الحتة تلاتة أربعة في اليوم.

- ماشاء الله! طب بس ما تتكلمش يا شيخ عوف؛ عشان الحسد، وادعيلي ربنا يكرمني، ويموت بتاع عشر أنفار الإسبوع ده؛ عشان عليا جمعية.

ممكن جدًّا أن يكون (عوف) و(لمعي) من أطيب خلق الله، وما دار بينهما من حوار هو أبسط حقوق البني آدم في تمني الرزق الوفير ليس أكثر.

وتخيل معي (رجل مطافي) حالهُ واقف من أسبوع، يشكو لزوجته قلة الحركة:

- مالك بس يا مرزوق؟ شايل الهم ليه؟

- أبدًا، مفيش ولا حريقة يا أم محمود الأسبوع ده خالص!

- يووه، ما تعيلش هم، ربك ما بينساش حد، والنبي تضحك يا مرزوق، مش هاين عليَّ تنزل الشغل وانت كدة.

يتبسم مرزوق، فتهلل زينب في فرح وتقول:

- والله انت ابن حلال، وربنا عمره ما هينساك، إدعي انت بس وقول

يارب، وإن شاء الله البلد كلها هتولع النهاردة.

يبتسم مرزوق في طمأنينة، ويخفض عينيه في خشوع ويقول: "الله كريم يا أم محمود".

أما الصحفي فحكايته حكاية..

تنتدب الصحيفة الصحفي الشاب (حسام) هو صحفي مبتدئ تحت التمرين لتغطية المظاهرة التي يقوم بها أعضاء حركة (زهقنا) أمام نقابة المحامين، فتدعو له أمه بالتوفيق، وأن يجعل ربنا في وشه القبول، ويصحو مبكرًا متوجهًا إلى نقابة المحامين، فيجد أن أعضاء حركة (زهقنا) يهتفون في أدبٍ ضد الحكومة، وأن الأمن المركزي يتعامل بكل لطف واحترام مع المتظاهرين، فيكتب تقريرًا، ويصوِّر صورًا، ويذهب به إلى الجريدة، فينظر فيها رئيس التحرير، ويُحملق، وتحمر أوداجه، ويصيح في وجه الصحفي الشاب:

- إيه القرف اللي انت جايبه ده، هنروح نقول للناس إن كل حاجة مرِّت بسلام، روح يا أستاذ دوِّر على مظاهرة تانية، تبقى فيها لقمة عيش كويسة.

يفوق الصحفي الشاب من الكابوس الذي كان يراوده، ويحمد الله بكل سعادة حين يرى الأمن المركزي يسحل المتظاهرين، ويضربهم بالعصا المطاطية، ويلقي عليهم القنابل المسيلة للدموع، ويعتقل البعض في عنف وقسوة، فيلتقط عشرات الصور الصحفية الرائعة، ويكتب تقريرًا ما أن

يقدمه إلى رئيس التحرير حتى ينظر له في فخر، مؤكدًا أنه وافق على تعيينه، وترقيته في الجريدة.

فلا تتعجب يا صديقي العزيز، إن علمت أن موتي وموتك يومًا من الأيام، سيكون خبرًا سعيدًا لشخص ما، قد خرج في الصباح الباكر، وهو يقول:

"يا فتاح، يا عليم، يا رزاق، يا كريم"

أشياء توضع في الفم

الفم أو البوْ، هو الشاغل الأكبر للإنسان..

منذ أن يولد، وحتى يوم وفاته، هو السلاح الأول في جسم الإنسان، يدخله الجنة، ويلقي به في النار، ينطق بالفرح، وينضح بالبكاء، يكرِّم ويُهين، يؤمن ويكفر، يبوس ويبصق، يتقوس لأعلى بابتسامة جميلة، وينحني لأسفل بتكشيرة مروعة.

ودائمًا فإن فم الإنسان هو الدافع الأول للبحث عن الأشياء، حتى يضعها في فمه، أو يقرأها بفمه، أو عن المرأة حتى يقبِّلها بفمه، أو عن الكيف حتى يشربه بفمه.

وقد يعيش الإنسان ستين عامًا، يضع خلالهم في فمه كل أصناف الأكل، والشرب، والأشياء، وقد يبتلع غذاءً يكفي القاهرة الكبرى.

لكن هناك أشياء يحرص الإنسان على وضعها في فمه منذ اليوم الأول لمولده، وحتى موته بالسلامة – لكنه يحرص ألا يبتلعها:

الحلمة

أول ما يضع الإنسان في فمه حلمة ثدي الأم.

بالطبع فإن البني آدم دائمًا شاغله الفطري الأول هو بطنه، ينزل من بطن أمه عامل غاره – عاااااا– فتعطيه الأم حلمة ثديها؛ شراءً لدماغها، وتجنبًا لضوضائه، وما أن يبدأ في الرضاعة، ويطمئن على (لقمة عيشه) حتى يتبادر الشاغل الفطري الثاني، وهو (الأذى) فتبدأ معالم الشر تظهر على وجهه، وينظر نظرة خبيثة، ويبدأ في عض الحلمة عضًا شديدًا مبرحًا، يجعل الأم أحيانًا "تنعل" سنسفيل جدوده، لكنها لا تعرف أن هذه هي البداية فقط، وأنَّ أسنانه ستبدأ في الظهور بعد فترة، وفين يوجعك..!

أطرف ما يُكتب على كارت السُّبوع هو جملة تصف المولود بأنه دكتوراة في الرضاعة!

البزَّازة

ما أن تظهر بوادر أسنانٍ عند هذا الطفل الشرير، ويحترف العض، وبعد أن تنعل الأم سنسفيل جدوده، تفكر في طريقة أكثر عملية؛ لتفادي العض الإجرامي الذي يمارسه سعادة الباشا المولود.

فتبدأ بخداع المولود الشرير بتقديم ما يسمى بـ "البزَّازة" وهي منتج بلاستيكي مرن طري. يفرح المولود للوهلة الأولى بالبزازة، ويبدأ في

الرضاعة منها بنَهم، وعندما يقوم بعضٌ "البزَّازة" لا يجد منها أي مقاومة، ثم يكتشف أنها حتّة بلاستيك، وإن أمه نسيت الغرام اللي بينهم، وإنها خدعته بحتّة بلاستيك، فيزيد في العض غيظًا إلى أن ينشف ريقه، ويتعب، وينام.

ويبدو أن الأمهات قد لاحظن أن البزَّازة قد أتت بمفعول السحر؛ فالمولود يتعب من العض في البلاستيك، وأيضًا ينام، و"نوم الظالم عبادة" وعندما يعود المولود للرضاعة من حلمة الأم، يعرف أن الله حق، وينطبق عليه المثل القائل "يا ناكر خيري، بكرة تعرف زمني من زمن غيري"

ويعرف الغريزة الفطرية الثالثة، وهي (تقوى الله) أثناء الرضاعة، ولا يقوم بالعض.

المعلقة

أو "الملعقة" باللغة العربية الفصحى، ولا أدرى ما سبب التحريف الغريب للكلمة بعكس موضع حرفي العين واللام، وكأن المواطن العربي يصر منذ نعومة أظافره على تحريف اللغة حتى لو "من باب العِند"، وحتى لو فشل في إيجاد كلمة بديلة للكلمة الأصلية، فعكس حرفين وبس، ثم انتقم من الكلمة واستخدمها في وصف فعل قبيح أيضًا، وكأن بينه وبين الكلمة تار.

والمعلقة الأصلية من معدن حديد إستانلس غالبًا، وكانت توجد ولفترة قريبة معالق ألومنيوم رخيصة، ومعالق نحاس ثقيلة، مزخرفة موروثة عن الأجداد. ثم ظهرت المعالق البلاستيك، وهذه المعالق يعرفها جيدًا، ويحفظ شكلها عن ظهر قلب كل عاشق حلزوني للكشري؛ فهي غالبًا توزع مع علب الكشري، وأذكر ذات مرة أن محل الكشري أعطاني شوكة بلاستيك مع الكشري بدلًا من المعلقة، ومارست أكل الكشري كما اليابانيين الذين يأكلون المكرونة بعصاية خشب رفيعة، وكان منظرًا بديعًا – وأنا آكل الكشري بالشوكة – جذَب كل أطفال المنطقة.

ونظرًا لأن المعلقة كائن خارجي، أي لا نعرف مصدره، ولا مصيره، ولا نعرف طريقة وكفاءة تنظيفه، فإن بعض أبناء الطبقة الأرستقراطية يطلبون مع الكشري معلقة بلاستيك حتى لو كانوا يأكلون داخل المطعم. عندما رأيت هذا الموقف أمامي تأكدت حينئذ أنني لست من أبناء الطبقة إياها، لكن منذ أيام علمت من الجرائد أنَّ هناك قضية مرفوعة؛ بسبب استخدام مواد ضارة في تصنيع المعالق البلاستيك.

هعمع.. مساكين أبناء الطبقة الأرستقراطية دول..!

السّيجارة

وهي اختراع شيطاني عجيب، وصفه بعض المؤرخون "أنه أسوأ اختراع بشريٍّ" ينفق الإنسان عليه تريليونات الجنيهات والدولارات، وينفق عليه

أيضًا من صحته الكثير، لكنه المزاج يا سيدي، و"قد خلق الإنسان نصُّه خوف، ونصُّه مزاج".

والسِّيجار ليس "ذكر سيجارة" ولكنه نوع أغلى وأفخم من السِّيجارة العادية، يضاف إلى قائمة المسميات العنصرية ضد المؤنثات. فالسِّيجارة الفرط رخيصة لا قيمة لها، أمَّا السِّيجار فغالٍ، لا يتحصَّل عليه سوى الأغنياء، عليه سوى أبناء الطبقة الأرستقراطية (بتوع المعالق البلاستيك) ويمكن لجمعية حقوق المرأة استخدام هذه الملحوظة للمطالبة بحقوق السِّيجارة "المؤنث" لتكون بنفس سعر السِّيجار "المذكر" فربما يتحقق لهم مطلبهم، ويرتفع سعر السَّجائر، ويمتنع الناس عن التدخين، ونكون قد وجدنا أخيرًا فائدة لجمعية حقوق المرأة.

العجيب في الموضوع، أن بعض أبناء البلاستيك أأأقصد الطبقة الأرستقراطية، أيوة بتوع المعالق البلاستيك، عندما يشرب السِّيجارة أو السِّيجار فإنه يحرص على اقتناء "مبسم" وهو منتج بلاستيكي "بردو" غالبًا يحافظ على "بؤ" الزبون من التلوث –رغم إن السِّيجارة دي ما شربهاش حد قبل كده – لأ بردو الأمر ما يسلمش، وإيش ضمَّنه إن هذه السِّيجارة لم يمتد لها "بؤ" من قبل. ومن أنواع المباسم ما هو مزوَّد بفلتر يقوم بفلترة الدخان، وتنقيته من الشوائب.

الشيشـة

وعنوانها هو المقهى..

فإن أردت شيشة، فعليك بالذهاب للمقهى، فبالطبع لن تستطيع أن تحمل شيشة في جيبك. أكيد مفهوم، ومفيش شيشة دليفري تقدر تحصل عليها بالتليفون، ولا تجد يومًا صديقك يعزم عليك بـ "شيشة" وهو ماشي معاك في الشارع، يعني لما تعوز "شيشة" تروح القهوة.

لكن، من الممكن أن تذهب إلى المقهى فلا تجد شيشة أيضًا. فهناك مقاهي – غالبًا ما تكون راقية بعض الشيء– تمتنع عن تقديم الشيشة، سواء لحُرمانيتها، أو لإكساب المقهى طابعًا خاصًا يمنح المكان سُمعة طيبة بين غير المدخنين.

إذا أردت شيشة عادية، تسمى شيشة معسل فستجدها في أي مقهى يقدم شيشة، وهي أرخص أنواع الشيشة، وأكثرها انتشارًا، والحجر يكون مصنوعًا من "تبغ سادة" لا نكهة إضافية فيه، ولا يضاف عليه ألوان، وتوجد منه أيضًا أنواع سلوم، مخصوص، أص، زغلول.. وغيرها من الأسماء الشنيعة.

أما الشيشة الفواكه، فلن تجدها إلا في المقاهي الـ "المالتي ناشونال" التي يزورها أشخاص من كل مكان، ولا يقتصر زوارها على "أهل الحتّة"، وتعتبر جميع قهاوي وسط البلد من هذا النوع المالتي ناشونال.

أما الجزء الذي تمسكه، وتضعه في فمك فيسمى (الليّ) وهي كلمة حلزونية غريبة – أول مرة ألاقي كلمة جميع حروفها عليها شدة – لكن هذا (الليّ) يكون ذا طرف معدني، من المفترض أنَّ هذا الجزء هو الشيء الذي يوضع في الفم، ونجد هنا أبناء الطبقة البلاستيكية الأرستقراطية، يطالبون بحقهم في "مبسم" وهو اختراع بلاستيك يختلف عن مبسم السِّيجارة، فهو أبسط، وأرخص، ويقدَّم مع الشِّيشة حاجة ببلاش كده؛ وذلك للحفاظ على صحة السَّادة المواطنين من الأضرار، ووضع المبسم المعدني في الفم مباشرة!!

وعندما يضع المدخن (الليّ) في فمه، يضعه بشكل مائل، ولهذا حكمة، وغالبًا تتمثل في عدم وصول الدخان بشكل مباشر إلى الرئة. وهناك "مسكة معلمين"، وتستطيع أن تميز المعلِّم من مسكة (الليّ)، وهناك "مسكة تلامذة" وتكون مسكة مستعجلة متوترة، وهناك "مسكة صنايعيَّة" وهي مسكة شديدة، وكأنه يتخيَّل أنَّ هذا "الليّ" هو مسطارين، أو لوح خشب.. وهناك "مسكة قهوجية" وهي تشبه تمامًا مسكة الفران لرغيف عيش.

الغليـون

أو البايب، وهو صورة منقرضة من صور أدوات التدخين، لم يعد موجودًا الآن إلا بشكل نادر. ينتشر كثيرًا بين الخواجات، والمغتربين،

وبقايا البشاوات.. وهو غالبًا مصنوع من العاج، وله رأس مثل رأس الأفعى، يوضع فيها التبغ بنكهاته، ويتم إشعالها بالكبريت، الولاعة لأ، ما تولعش البايب.

ويسمى أجود أنواع الغليون في خان الخليلي باسم (بايب السادات)!

وقد عُرض ذلك البايب، الذي كان يحمله السادات لحظة اغتياله، للبيع على الإنترنت بمبلغ ٥٠٠ ألف جنيه.

الشّاليموه

وهو اختراع بلاستيكي أيضا، يشبه أنبوبة القلم. يستخدم في شفط العصير، ولذلك يسمى الشفّاطة. وتستخدم كبديل لرفع الكوباية، أو إزازة البيبس على البوْ.. مجهود بردو وبهدلة.

ويتم تدليع الشّاليموهات بوساطة عمل ألوان زاهية لافتة للنظر، وأيضًا بواسطة عمل كوع للشّاليموه يمثل انحناءة لمزيد من الراحة للباشا المُستخدم.

العبد لله، أنا.. يكره الشّاليموه كره العمى، لكن ربما لو عرفت إن العبد لله، وهو صغير كانوا بيخرموا له غطا إزازة البيبس خرم صغير يشرب منه؛ عشان ما يغرقش نفسه، حتمًا ستعرف لماذا يكره الشاليموه؟.

الأصابع

وهي من أوائل الأشياء التي يعشق الإنسان وضعها في فمه، بغض النظر عن نظافتها، ومع اختلاف المراحل العمرية. في الطفولة، وفي الكبر.. في الطفولة من باب حب الرضاعة والعضعضة، وفي الكبر من باب التفكير والغيظ.

القلم

وضع القلم في الفم، إما دلالة على التفكير العميق، والثقافة الواسعة عند الكبار، وإما عنوان للخيابة والبلادة عند الصغار، والعبد لله كان كثيرًا ما يقوم بالقضاء على الأقلام أكلًا وقرقضةً.

الصُّفارة

وأشهرها صفارة الحكم، وكنت أعتقد زمان إن الحكم بيقطّع نَفَسه من النفخ، وأتساءل لماذا لا يخترعون جهازًا صغيرًا يُطلق نفس الصوت بالضغط على زراره، ولما عرفت المرتبات الخيالية لحكام الكرة، عرفت إن أقل واجب تجاههم هو قطع نفسهم.

والنفخ في الصُّفارة ليس إبداعًا، ففي يناير ٢٠٠٩ طرد حكم مباراة

كرة قدم في بريطانيا بغبغانًا من الملعب؛ لأنه كان يشتّت انتباه اللاعبين من خلال تقليد صوت صفارة الحكم.

ويندرج تحت بند الصُّفارة كل آلات النفخ الموسيقية التي يضعها البني آدم في فمه، ومنها الهارمونيكا، والناي، والساكسفون، والترومبا.. وغيرهم.

ومن أشهر الصُّفارات التي وضعناها في فمنا، هي المصَّاصة الصُّفارة (لولي بوب) والتي ما إن تنتهي المصَّاصة حتى تبدأ الصفارة في إزعاج الجيران.

فُرشة الأسنان

بعد أن يضع الإنسان جميع الموبيقات، والمكنونات، والمخلوقات في فمه، وتبدأ أسنانه في الإنفجار تسوُّسًا، حتى يسمع عن اختراع اسمه فرشة الإنسان.

اللبان

ومنه ثلاث أنواع:

نوع بالسكر، ونوع بلدي ويسمى سمارة، ونوع – ولامؤاخذة – دكر..

ومضغ اللبان عادة ذميمة في بعض الأوساط، يعتبر دليلًا للمياصة والدلع، ومحبوبًا في بعض الأوساط الأنثوية إذ يعتبر دليلًا على الأنوثة، وممقوتًا في بعض الأوساط الرجالية، ويعتبر دليلًا على حاجات مش لطيفة.

تذهب إلى القاهرة فتجد اسمه اللبان، وتذهب إلى الإسكندرية فتجد اسمه مستيكة، وتذهب إلى الخليج فتجد اسمه العلكة، وتذهب إلى الغرب فتجد اسمه Gum، لذا فمضغ اللبان سلوك إنساني مالتي ناشونال.

يستخدمه البني آدم؛ لإرخاء الأعصاب، والتخلص من التوتر، وله فوائد صحية عديدة.

وكان مضغ اللبان بالنسبة لي يصاحبه عادة عض اللسان، وينتهي غالبًا بحادث أليم، حيث يصعب الجمع بين مضغ اللبان مع تناول الطعام، والغناء، والكلام، والصفير.. في نفس واحد.

للأسف، تنتهي حياة الإنسان بوضع قطنه صغيرة في فمه بعد موته.

اليوم العالمي للهجص

Hugs Fans

عندما رأيت تلك الكلمة وأنا أتجول في موقع الفيس بوك العجيب، ظننته جروب أو ملتقى لمحبي الهجص في العالم، وفرحت أنَّ عادة شرقية أصيلة مثل "الهجص" تلقى إقبالًا عالميًا (All Over The World) وبما أنني تلميذ في مدرسة الهجص، فقد سارع إصبعي الأوسط –الذي أستعمله في مثل هذه المناسبات– بالضغط على رأس الفارة حتى يتسنَّى لي الدخول في عالم الهجص، والإلتقاء بأمثالي من مريدي الهجص وأستاذته في كافة بلدان العالم.

إلا أنني وبنظرة سريعة على محتويات الصفحة، اتَّسعت حدقة عيني، وفغر فمي، وتوقفتُ لبرهة، وتوترت عضلات سمانتي – حاجة كدة زي أدهم صبري – وأنا أنظر لأشكال مرتادي مدرسة الهجص المزعومة، التي لا تتناسب إطلاقًا مع روح الهجص الشرقي المعروفة، والتي يتجلى فيها

المكر في العيون واللؤم في الوجوه، حتى أنك تستطيع أن تعرف الهجاص من وسط مليون شخص.

إنها وجوه لبشر مستريحين، تحمل الأفواه ابتسامات، وتحمل الخدود الوردية سمات العز والبغددة، وملامح وجه غير تلك الملامح الكئيبة التي نراها في المرآة كلما نظرنا فيها.

ثم تذكرت تلك الكلمة الإنجليزية التي سمعتها أثناء مطالعتي لأحد الأفلام الأمريكية الـ هجاصة، والتي تعنى كلمة "حضن" باللغة العربية أي أن الصفحة هي ملتقى لمحبي الأحضان..

مش بطّال، ما أنا بردو مُحب

مع فارق بسيط، أن محبي الهجص والفشر في بلادنا، يسهل عليهم ممارسته، فيجدون الموضوعات الدسمة التي تستوعب الكثير من الهجص، ويجدون الأشخاص الذين يسهل الفشر عليهم..

أما محبُّو الأحضان في مصر فهم ينقسمون إلى ثلاث أنواع:

١- نوع يمارس الأحضان ثلاث مرات في الدقيقة مثل: الأستاذ عادل إمام في أفلامه.

٢- ونوع يمارس الأحضان عندما يلتقي بأي من صديقاته: مثل صديقي هيثم أوبح.

٣- والنوع الثالث يمارس الأحضان في خياله، وهو يتقمص دور عادل إمام وهيثم أوبح: مثل باقي الشعب.

ولمحبي الأحضان مناسبات و(Events) زي باقي الناس العاديين.. أي والله..

فهناك "اليوم العالمي للهجص" أقصد اليوم العالمي للأحضان، وهو يوم السابع عشر من يونيو. وجدت كلامًا كثيرًا مكتوبًا بلغة الإفرنجة، فاستسهلت التخيُّل عن القراءة، وأطلقت لخيالي العنان عما سيحدث في هذا اليوم وطقوسه في دول العالم، التي تعاني إسهالًا حادًّا في الأحضان، وفي مصر التي تعاني من حالة إمساك مزمن.

سيفرح الشرقيون الذين يعانون من حالة حرمان وإمساك عاطفي بهذا اليوم كثيرًا، وستقام الإيفنتات، وسترسل الدعوات الفيسبوكية لتجوب أرجاء المعمورة، وسيتحوَّل الشارع العربي إلى "محضنة" وسيأخذ المواطن العربي من رئيسه الذي يمارس الأحضان مع وزيرات الخارجية الإسرائيلية، والأمريكية مثلًا أعلى..

وربما يمتد الأمر لتبادل الأحضان مع دول الغرب، كنوع من دعم العلاقات العربية الغربية، وستحتاج الصين لـ "شغل بعد الضهر" على رأي الأستاذ "الحضِّين" عادل إمام في مسرحيته التي مارس فيها الحضن عشرات المرات.

أما عن الجانب السيء للحضن، أقصد للأمر، فإن أنفلونزا الطيور،

والخنازير، والصراصير، ستجد ملاذًا وفرصة للانطلاق، وربما يُعلن في اليوم التالي عن إصابة ما لا يقل عن سبعة مليار مواطن بكمية لا بأس بها من أنفلونزا الحيوانات، وسرعان ما سيتحول العالم بأسره إلى حديقة حيوانات كبيرة، وتجد من ينهق، ومن يهوهو، ومن يرفس.. كما قد تجد كائنًا في ثياب بشر، لكنه ذو أنف أسطوانية حمراء، يبتسم حين يراك ويعرِّف نفسه: أنا "خنزاوُور سميث" المنسق الأمريكي لأحضان الشرق الأوسط.

تصفحت كلمات الزوار من محبي، وعشاق، ومنتظري يوم الحضن العالمي، فوجدت أشكالًا، ولغات، ولهجات من شتى بقاع الأرض.

كتب شاب فرنسي في صفحة يوم الأحضان بكلمات إنجليزية: "هذا اليوم صُنع خصِّيصًا من أجلي..".

وكتبت فتاة إيطالية: "أنتظر ثلاثة أحضان في ذلك اليوم: واحد من حبيبي، وواحد من صديقي، وواحد من أبي".

أما هيثم أوبح صديقي، فقد فوجئت بأنه من زوار الصفحة، وقد كتب: "محاسب مصري طموح، أبحث عن مزة من أي بلد للزواج، أو الحب، أو الجنس".

خوازيق النجومية

بمجرد أن يولد البني آدم مننا، وتخطو قدماه الخطوات الأولى، حتى تبدأ رحلته مع حب الشُّهرة، والظهور، ولفت انتباه المحيطين بشتى الطرق، فيبدأ الطفل في عض حلمات مامته، وينظر إليها وهي تصرخ مستمتعًا، ثم يبدأ في لفت انتباه زملائه في الحضانة، والمدرسة، ولفت انتباه المدرسين، والذهاب للعب في الشوارع المجاورة لاكتساب معارف جدد.

ثم تبدأ فترة المراهقة بحالة حب شهرةٍ وظهورٍ رهيبة، قد يقوم فيها الولد بقطع شرايين يده، والبنت بشرب شريط الدواء بالكامل؛ لمجرد فتور اهتمام الأسرة بهم.

يظل الانسان متواضعًا، وطيبًا، وأميرًا، وابن حلال، يود الناس، ويسأل عنهم، ويتودد إليهم حتى إذا فتح الله عليه أبواب الرزق، أو الشُّهرة، أو النفوذ، يبدأ في الأنزحة، والتعالي، والألاطة على خلق الله.

يبدأ في التعامل مع الناس من منطلق النجومية والشهرة، ويبدأ في

إدخال مصطلحات جديدة إلى قاموسه:

١- (بحبكم يا شباب) أو (إنتم حقيقي في منتهى الجمال): إن كان مطربًا.

٢- (النجم مننا ما يقدرش يعيش من غير جمهوره) إن كان مصطفي قمر.

٣- (إنتم السبب الحقيقي وراء فني) إن كان ممثلًا.

٤- (انتظروني قريبًا) أو (أنا مبسوط من رأيكم في مقالي) إن كان كاتبًا.. إلخ إلخ.

ثم يتخلى عن الكلمات الشعبية في كلامه، ويتحدث إلى إمه، وإخواته، وأصحابه، وكأنه يدلي بتصريح صحفي، ويبدأ في التفكير جديًا في كتابة مذكراته، أو عمل فيلم وثائقي عن حياته - بالمناسبة أنا بفكر أكتب عن كفاحي - وتتحوَّل حياته البسيطة لما يشبه بشخص يحيا أمام الكاميرا.

وهذا الداء - داء النجومية - هو داء لعموم البشر على السواء منذ خلق آدم، وحتى كتابة هذه السُّطور، ولا أحد معصوم منه، أنا شخصيًّا عندما أشتري قميصًا جديدًا فإنني أغلق الموبايل لعدة أيام، ولا أرد على أحد، وإذا أنعم الله عليا بجوز شربات، فإنني أرد السلام بألاطة، ومحدش في المنطقة بيعرف يكلمني لمدة لا تقل عن أسبوع.

وأذكر زمان أنني عندما طلع اسمي في الجرنان مرة في بريد القراء،

ظللت أنظر للناس من فوق لتحت كدة بتاع حوالي شهر، إلى أن سقطت في بلاعة مفتوحة في الشارع اللي جنبنا، بس الحمد لله جت سليمة، ومن وقتها وانا أدعو الله أن يحميني من شر التعالي، والكبرياء، وأستعيذ بالله من النجومية المزيفة؛ منعًا للوقوع في البلّاعات المفتوحة.

والنجم يتخلى عن أشياء ربما يحبها من صميم قلبه، مثل الأكل في الشوارع، أو ركوب أتوبيسات النقل العام (أيوة في ناس غاوية فقر) أو الشعبطة في ميكروباصات الجيزة، أو الجلوس على قهوة عبده صرصار، وتناول الشيشة مع الشاي الكشري.

فالنجم أيضًا ضحية المجتمع..

تخيل معي إنك ماشي في ميدان السيدة عائشة مثلًا، ثم وجدت عمرو دياب يقف على عربية فول (إن خلص الفول أنا مش مسؤول)، يتناول الفول بالزيت الحار، مع بتنجان مخلل، وطبق طرشي، وفحل بصل..

بالتأكيد ستجري عليه – على عمرو دياب مش الفول – طالبًا منه تذكار، حتى لو كان حزمة بصل أخضر، أو حتّة خيارة، وتخيل معي أن عشرين مليون نسمة هم سكان ميدان السيدة عائشة ساعة الظهرية، سيشاركونك نفس الشعور تجاه سعادة الباشا النجم.

لذا فهو مضطر لتناول الفول بالزيت الحار في بيتهم، وحبة حبة ربما يفقد الإحساس بالناس، ويتحدث إليهم على طريقة (إزيكم يا جمهوري، عاملين إيه كدة).

وتخيل إنك قابلت كاتبك المفضل في أتوبيس ٩٢٣ المتجه إلى الجيزة والمنيب عبر السيدة زينب والقصر العيني، فإنك بالتأكيد ستبادر بابتسامة واسعة، وتقوم تقف؛ عشان يقعد فيعرف الأتوبيس كله إن في كاتب وصحفي معاهم في الأتوبيس، ويبدأ كل واحد في أن يدلوا بدلوه:

- طب أما انتَ كاتب، ما تكتب لنا عن زحمة المواصلات ياعم الكاتب.

- كاتب إزاي ومعهوش عربية؟

- والله هما دول اللي مبوظين البلد بالخ.. اللي بيكتبوه.

- وده كاتب معارض.. ولا ضاد من غير نقطة إن شاء الله.

- ده منظر كاتب والنبي؟ ده شكله كاتب كتابه.

- ياريت يكون من الكُتَّاب إللى مع الشعب، مش من الكُتَّاب اللى (مع الرصين).

- أنا شوفت الكاتب ده امبارح الصبح في طابور العيش، وبالليل في التليفزيون هاهاهاه.

وهكذا تتبعتر كرامة عم الكاتب بين رُكَّاب الأوتوبيس.

أصدقائي الأعزاء..

أنا مبسوط إن مقالي عجبكم، وانتظروا جديدي دايمًا، وتابعوا أعمالي،

وما حدش يتردد إنه يكتب لي، أنا بحب جمهوري كتير، لإني من غير جمهور زي الحلة من غير غطا، وحقيقي إنتوا أحلى جمهووووووه..

يووووه، يخرب بيت البلّاعات المفتوحة.

خوازيق المحبة

القط بيحب خنّاقه، ومفيش حلاوة من غير نار..

أمثال شعبية قالها أجدادنا فلاسفة الحب الشعبي، الذين استوعبوا جيدًا أن للحب "خوازيق" مصاحبة، ولا حب بدون "خوازيق"، ولا صدق مشاعر بدون "ذمبثة"، فالمحب الشرقي يعشق الأسافين كما يعشق الشيكولاتة، ويعز الخوزقة زي عنيه، ويذوب شوقًا في كل لحظة إلى المقالب العاطفية.

في بلاد الشرق يفترض المحب أنه قد اشترى محبوبه (شروة على بعض) أو (لوكشة واحدة) اشترى قلبه، وعقله، وجسمه، وأفكاره، وحريته، وأشياءه، وأهله، واللي جابوه، وبالتالي لا يقبل المحب الشرقي أن تقوم "سلعته" التي اشتراها مقابل "الحب" بفعل ما لا يتفق مع دساتير مشاعره، وقوانين هواه المستبدة، وأن يرى "بضاعته" التي دفع فيها "دم قلبه" تحدث زبونًا آخر، أو تعتنق "سلعته" أفكارًا غير أفكاره.

وفي بلادي، عندما تولد أُولى لحظات الحب، في أول لقاءات العيون، تولد معها "العكننة" وتكون عكننة من النوع "الرضيع"، تظهر في صورة ضيق إذا تكلمت المحبوبة مع شاب آخر، وحالة شخط، ورفس عاطفي إذا أظهرت استلطافًا لشاب آخر، أو إذا وقف المحبوب مع بنت أخرى، أو إذا ما تمّ شقطه متأملًا في جوز عيون ملونة. ثم تنمو "العكننة" وتكبر شيئًا فشيئًا حتى تصير مع أول أيام الزواج، عكننة من الحجم العائلي، وتصبح كائنًا مكتملًا يستطيع أن يمارس عمله الانفجاري بنجاح.

و"للخوازيق العاطفية" صور، وأمثلة، وطقوس، لا تحصى ولا تعد، فالمعاكسة التليفونية التي يقوم بها المحبوب؛ ليختبر إن كانت حبيبته تتحدَّث مع أغراب أم لا، هي "خازوق عاطفي" من النوع الخفيف، والفستان الذي تطلب المحبوبة شراءهُ رغم عدم احتياجها له هو أيضًا "خازوق غرامي" لاختبار مدى قوة الحب والطاعة، والقوة الشرائية أيضًا.

ويمثل الأهل دائمًا في مشوار الحب "خازوق محبة من النوع المحترم" فما أن يصل الحب إلى منطقة النور، وما أن يشم الأهالي خبرهُ حتى تبدأ مرحلة "تبادل الخوازيق"، وتحدث عملية "تراشق بالخوازيق" فيطلب هؤلاء مهرًا ضخمًا، ويطلب أولئك عفشًا باهظًا، وشبكة غالية، وشقة فخمة، وقائمة منقولات.. الخ الخ.

وعندما تناقش المُحب في نظرية "الخوزقة" يتنحنح ويعتدل في جلسته،

ويرد عليك بثقة مؤكدًا أنه يفعل ذلك كدلالة على ولعه الشديد بمحبوبته، وأنه لا يستطيع أن يحيا بدونها يومًا واحدًا، وأن صمودها أمام "خوازيقه المتكررة" تعني أنه غالٍ وثمين لديها، أي أن خوازيقه لا تتعدى كونها "خوازيق صديقة" فقط.

وتلعب "نظرية المؤامرة" الدور الأكبر في "استراتيجية الخوزقة" فالظن السيء هو دائمًا الصديق الصدوق للحب، وكل حركة، ولفتة، وكلمة، يقوم بها المحب الشرقي تعني بالتأكيد أنه "عامل عملة" وأنه يخفي أمرًا ما، ولابد من التحرك الفوري؛ لكشفه عن طريق "خازوق عالماشي" فتبدأ المحبوبة بالتفكير العميق في العكننة عليه، أو بالاتفاق مع صديقتها لعمل خطة مضادة لكشف نواياه، أو بالرجوع إلى "المرجع الخوازيقي الأعظم" الذي هو أمها، فتنظر الأم في هدوء، ولا مبالاة، وتقول من الكلام ما قل ودل، فتنفجر المحبوبة من السعادة من نصائح المرجع الأعظم، وتجري؛ لتنفذها فورًا.

أما الحب في بلاد الشمال، بلاد الرياح الباردة، والأمطار، والثلج، في أوروبا والدول المتقدمة، فإنه حب "خالي الخوازيق" أو هو "حب نادر الخوازيق" أحيانًا، فالأحبة في بلاد الشمال لا يقتنصون من الدنيا إلا كل ممتع وجميل، الدلع، والفسح، والسكس، والرومانسيات.. الخ. فتجد المحبين والأزواج في أوروبا يعملون طوال العام؛ لجمع مبلغ من النقود، ينفقونه في الأجازة الصيفية في الذهاب إلى الصين؛ لرؤية سور

الصين العظيم، أو الذهاب لروما؛ لمشاهدة برج بيزا المائل، أو الذهاب إلى باريس؛ لمشاهدة برج إيفل، أو للذهاب إلى مصر؛ لمشاهدة طوابير العيش وهكذا.

لا زال الحب في مجتمعنا الشرقي يعاني أمراضًا مزمنة، ترسَّبت عبر آلاف السنين، وآلاف الصعوبات التي نواجهها يوميًّا في توفير قوت اليوم، وفي طابور العيش، وفي المواصلات، وفي الجمعية التعاونية، وفي البحث عن فرصة عمل، ومسكن، وعفش، وهكذا حتى فقد الحب الكثير من تسامحه، وصفائه، وإخلاصه، وتبقى فيه الكثير من خوازيق المحبة.

محلات الصّباغ للتنمية البشرية

في أوروبا، والدول المتقدمة، نشأ اختراع اسمه التنمية البشرية، وهو علم مبني على التخصُّص، ودوره ببساطة هو رفع كفاءة الفرد – اللي أساسًا منتج – عشان ينتج أكثر.

في مصر، حينما فتحت صفحات الجرائد، ودخلت على الفيسبوك برجلي اليمين، وجدتُ عشرات من الـ Groups، والإعلانات، والعبارات الرنانة التي تدعو وبكل فخر إلى التخلص من اليأس، وحُب الأمل، واكتشاف الذات، وتعلمك كيف تعامل الناس بجاذبية شديدة، وكيف تكتشف نفسك في سبع أيام بدون معلم، وكيفية التخاطر عن بعد، والتوارد عن قرب، بالإضافة إلى كورسات مُعلبة في البرمجة اللغوية العصبية، والسيطرة على الذات، ومهارات التفكير، وتنمية العلاقات الأُسرية، ورفع الطاقة البشرية، بل هناك كورس لتنمية عضلات التفكير..!

أصابتني السعادة، وانتابتني نوبة فرحة شديدة بهذه الناس الجميلة،

الذين يزرعون الأمل في الشباب لوجه الله، لكنني اكتشفت بعد ذلك أنَّ عملية زرع الأمل تتم مقابل ٤٥٠ جنيه للكورس الواحد.

وفهمت أيضًا، لماذا يعمل نصف البلد في مجال التنمية البشرية لزرع الأمل في النصف التاني.

فقررت فورًا افتتاح: **محلات الصَّباغ للتنمية البشرية**..

أحمد الصَّباغ التنميبشري، هو الاسم الذي أطلقه عليَّ أصدقائي، وعائلتي، وأولاد منطقتي.. من كثرة ما حدثتهم عن التنمية البشرية، وألقيت خطبًا حماسية رنانة، قبل الأكل وبعده، عن رفع كفاءة الفرد بواسطة البرمجة الدماغية، وبثِّ الروح الحماسية، والحماس الروحي، والإبداع العقلي، والعقل الإبداعي.

وكنت منذ نعومة أظافري أهوى تنمية عيال الحتة بشريًا، فكنت ألم العيال تحت بير السلم، وأجلس لزرع الأمل فيهم، ثم أقوم بجمع الحلوى، والشيبس، والبسكويت، والعصير، ثمنًا لعملية التنمية المذكورة.

ولما كبرت علمت أنَّ الموهبة لا تُشترى، وأنني موهوب بالفطرة في بيع الكلام الحماسي لكل يائس، وتوريد جميع أصناف الأمل لكل مشتري، وبدأت أفهم فنون اللعبة أكثر، فاليائس غريق يبحث عن قشَّة ليتعلق بها. والبني آدم التنميبشري، هو إنسان لديه كومة قش، يبيع القشة الواحدة بخمسة جنيه لأي غرقان.

وكان ينافسني في عبقرية تنمية البنى آدمين بشريًا، واحد غلس اسمه (ممدوح ذرّة) والعيال أسموه بهذا الاسم؛ لأنه كان كلما اندمج في التنمية البشرية بصوت عال خرج منه صوت أعلى، مصحوبًا برائحة أحيانًا، وكنت أجلس مع ممدوح الغلس؛ لنتنافس ونتشاحن فأقول له على إنجازاتي:

- أنا نمّيت أربعة الأسبوع ده.

- هأ.. أربعة، ده منمّي سبعة، وفي تلاتة في إيدي هخلصهم تنمية على بكرة آخر النهار.

لم ينمنعني كلام ممدوح الغلس، من الدأب سعيًا وراء تحقيق الحلم الجميل.

وبدأت المشروع العظيم.

يا فتاح، يا عليم، يا رزاق، يا كريم..

حسانين جارنا كان يؤكد أنه مشروع العمر، وكان يجزم أنَّ المشروع سيحقق أرباحًا طائلة؛ لأن موقع المحل رائع، على بركة الله.

اتخذت موقعي أمام المحل في شارع الأزهر، علقت يافطة ضخمة مكتوب عليها اسم المحل بحروف ذهبية لامعة.

مرت ثلاثة أشهر، أدركت فيها أنَّ قرار اختيار موقع المحل كان خاطئًا؛

وذلك لأن رواد المنطقة غالبًا هم صنايعية قادمين إلى الرويعي لشراء لوازم الورشة، وليس منهم من يحتاج إلى كورس يُعلمه "كيف يكتشف ذاته في سبع أيام"، فالصنايعي في مصر مشكلته الحقيقية إنه قد اكتشف ذاته.

وظل المحل عدة أشهر يئن هكذا بدون زبائن، حتى بعدما أنشأت جروب على الفيسبوك يحمل اسم المحل، وصورة واحد "متفاءل بغباء"، وهو اللوجو الذي اخترته لهذا البيزنس النبيل.

وفي يوم مفترج، كنت على موعد مع الزبون الأول، الذي زرع في روحي الأمل في أنني إنسان ذو مشروع ناجح.

الزبون الأول كان نجارًا جاء إلى الرويعي؛ ليشتري بعض اللوازم، وجذبته يافطة المحل، وقمت بمنحه ابتسامة (تنمبشرية) جذابة فعرَّج على المحل متطلعًا إلى اليافطة وعلى شفتيه ابتسامة، ويمصمص شفتيه في نهم:

– هو إنتوا بتبيعوا إيه؟

فشرحت له إننا لا نبيع شيئًا يؤكل، ولكننا نبيع حماسًا، ولدينا حماس عادة، وحماس مشكل، وعندنا كوكتيل حماس مع حب الآخرين، وعندنا (تحدي بالخلطة)

بعد أن أكلني هذا الزبون علقة محترمة، فكرت في الاتجاه للتدريب والتدريس، وكانت فكرة عظيمة.

أصبحت في غضون شهور أستاذًا مشهورًا، ومحاضرًا تنميبشريًا عالميًا،

وانهالت عليَّ الأموال، وكنت أحكي لطلابي عن نموذج (زكي تفاؤل) ذلك الشاب البائس الذي قمت بتنميته بشريًّا، فصار إنسانًا متفائلًا، سعيدًا، ناجحًا في الحياة، فعينته مساعدًا لي.

وذات يوم، في إحدى المحاضرات في المدرج الكبير، التي يحضرها آلاف من المتدربين، أردت شرح جزء من (كتاب السلوك) خصوصًا الجزء الخاص بسلوك الإنسان الراقي عند دفع ثمن الكورسات، طلبت من مساعدي الغبي (زكي تفاؤل) إحضار الكتاب.

- لو سمحت يا زكي، هتلاقي السلوك على المكتب بتاعي، هاتو..

فذهب (زكي) الغبي، وأحضر لفة كبيرة من سلوك الكهرباء، ودخل المدرج، ووقعت في حيص بيص، واضطررت لفبركة حجة لهذا التصرف، بأنني كنت بالفعل أقصد سلوك الكهرباء، لأبيِّن للطلبة كيف أنَّ المتفائلين هم أشبه بسلوك الكهرباء، يسري خلالهم تيار الحماس (ليكهرب) كل المحيطين بهم، فيتحول المجتمع إلى مجتمع متحمس.

الطريف أن الطلبة الأغبيا أسَّسوا على الفيسبوك في اليوم التالي جروب محبي السلوك الكهربية.

من إنجازات التنميبشريين خلال ثلاثة أعوام من عمليات التنمية البشرية:

١- لعبوا دورًا مهمًّا جدًّا في مشكلة البطالة، حيث قاموا بتحويل أكثر من ٤٠ مليون عاطل متشائم على المقهى، إلى ٤٠ مليون

عاطل متفائل على نفس المقهى.

٢- ساهموا في علاج اكتئاب الشباب، وذلك بعد توافر كميات فائضة من اللامبالاة.

٣- توفير أكثر من ٨٠٠ ألف فرصة عمل لشباب اشتغلوا كلهم في التنمية البشرية، بحيث صار لكل عدة مواطنين (مُنمِّي بشري) خاص بهم.

٤- القضاء على المخدرات بين الشباب؛ لأن الشباب أساسًا أصبح (مأشفر) ولا يمتلك سحتوتًا بعد كل ما صرفه على التنمية البشرية، هؤلاء الشباب الحمد لله تركوا المخدرات، واتجهوا للحشيش الرخيص.

عزيزي القارئ الشريف، يمكنك أن تعتبر هذا المقال درسًا من دورس النصب والاحتيال.

شعب مصر

ألبـوم مصري

يوميات كائن مواصلاتي

كما يمكنك أن تصف البطريق بأنه كائن قطبي، وتصف السمك بأنه كائن مائي والجمل بأنه كائن صحراوي.. فإنك تستطيع بكل ثقة أن تصفني بأنني "كائن مواصلاتي" بجدارة.

وتستطيع أنه تعرِّفني تعريفًا علميًّا كاملًا بأنني: مخلوق مواصلاتي، موطنه الأصلي أتوبيسات النقل العام، والميكروباص، والقطار، والترام، والتاكسي، وحتى الباخرة النيلية، والتروسيكل، والمعدية، والتوكتوك.

كائن يعيش في المناطق المزدحمة، وبجوار السواق، والكمسري، ويتكاثر بالقرب من مواقف الميكروباص والميادين العامة، وينمو ويترعرع في الجو الخانق، والمعبأ بعوادم السيارات.

لو حسبت الوقت الذي أقضيه في المواصلات العامة والخاصة، لوجدت أنَّ معظم ساعات عمري تمضي في داخل أُتوبيس، أو مترو، أو "ميكروباظ" إلى العمل بوسط البلد، ومن العمل إلى منزلي، وإلى وسط

البلد مرة أخرى في إجازة نهاية الأسبوع، حيث مقاهي البورصة، والبستان، والتكعيبة، وتجمعات الأصحاب، وإلى إخوتي وأقاربي.. وفي الخروجات، والمصالح، والمشاوير التي لا تنتهي بصورة يومية.

وللطرق والمواصلات في مصر حكم، وأسرار، وعجائب، لا يحصرها إلا إنسان ولد في أوتوبيس ١٧، وتزوج في ٩٢٣، وأنجب في ٤١٧، ومات مختنقًا في مترو الأنفاق:

- إن المسافة من غمرة إلى رمسيس بالأتوبيس وقت الذروة لا تتعدى تلاتة كيلو، لكنك تقطعها في نفس الوقت الذي تسافر فيه إلى الزقازيق في الأوقات العادية.

- إن الوقوف في أوتوبيسات النقل العام فن، لا يعلم أسراره سوى المواطن المصري الأصيل الذي أكلت منه شوارع مصر (رقات).

- إنني عندما اتطلعت على آشعة لرئة مواطن مصري، أدركت أن ما يضخه أتوبيس ١٧ أثناء رحلته من منزلي إلى ميدان الجيزة مساوي حجمًا لما تنتجه الشركة الشرقية للدخان في شهر.

- إن السماء تمطر أوتوبيسات تحت كوبري السيدة عائشة، وكوبري الجيزة (في كل عام عدد ثابت من حوادث سقوط الأوتوبيسات من فوق الكباري).

وأستطيع أن أوجز لك النصيحة إن كنت من ركاب المترو، فعليك

بحمل أنبوبة أكسجين؛ لاستخدامها في حالة تعطل المترو في النفق، وإذا اخترت الوقوف بجوار الباب فأنت قد فضلت الاستناد على جدار المترو، وأمنت من شرور الرايح والجاي، لكنك فقدت المنافسة على المقعد الذي يخلو في أنور السادات، ويتنافس عليه ٣٥٠ راكب، تفوز به غالبًا سيدة.

أما إذا كنت من ركاب القطارات، فأنت "مغسِّل وضامن جنة" والبقاء لله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وربنا يصبر أهلك، ويعوضهم عنك بخمستلاف جنيه، والله كنت شاب مجدع، وكنت نِعم الصديق، ما دايم إلا وجه الله، عليك بالتوبة، وياحبذا لو تعمل عُمرة، احرص على حمل المصحف الشريف، وتوديع أهلك، وتقبيل يد والدتك، وتأكد قبل الركوب من ميعاد قيام القطار، وميعاد الحادثة بتاعته.

ولازال لأتوبيس ١٧ ج الذي كنت أذهب به إلى الجامعة عبر السيدة عائشة، والسيدة زينب، والمبتديان، والقصر العيني، لازال يملك لدي الكثير من الذكريات الجميلة المؤلمة.

هذا الأوتوبيس الذي لم يخيب ظني مرة واحدة، فقد كان يعطل ويحلف يمين طلاق ما يمشي غالبًا على الكباري، حيث لا توجد مواصلات، وأوقات الامتحان حيث الحاجة لكل ثانية، وأيام المطر حيث البهدلة والشحططة..

لقد نتج أتوبيس ١٧ ج عن التجارب البشرية الأولى لمحاولة صنع

أوتوبيس، حتى أنني أعتقد أنه سمي ١٧ نسبة إلى القرن السابع عشر.

هذا الأوتوبيس الذي كان يسير كالبطة البلدي متمايلًا يمنةً ويسرةً، وكان شكمانه داخل الأوتوبيس نفسه، قبل أن تكتشف القريحة البشرية أن من الأفضل أن يكون الشكمان برة.

وكنا قد تعودنا يوميًّا على أن يتعطل بنا الأوتوبيس، منا من يذهب في رحلة بحث عن أتوبيس غيره، ومنا من يمتلك بالًا طويلًا فينتظر حتى يتم إصلاحه ويستكمل الرحلة فيه، توفيرًا لربع جنيه آخر، يتم دفعه في أتوبيس ١٧ آخر.

المرة الوحيدة التي لم يتعطل فيها الأوتوبيس هي المرة التي احترق بنا، حيث وجدنا فجأة وبدون أي مقدمات بألسنة اللهب تأتي من الخلف، فهرعنا هاربين.

الغريب أنه برغم جميع حرائقه، لم يتعطل، ولم يتوقف، وظل سائرًا كالبطة البلدي.

إنَّ كلمة "مواصلات" في مصر تختلف عن نفس الكلمة في البلدان الأخرى، المواصلات عالميًّا تعرف على أنها "وسيلة" الانتقال من مكان إلى آخر، أما في مصر فهي ليست "وسيلة" وإنما "غاية"، ويمكن لشخص استطاع – بفضل الله – ركوب أتوبيس، أن يقرر قضاء باقي عمره فيه.

فالمواصلات في مصر هي أسلوب حياة، وقل لي أتوبيسك أقولك

شخصيتك، ومن خلال حياتي المديدة داخل وسائل المواصلات، تأكدت أن المواطن المصري يقوم بجميع وظائفه الحيوية داخل الأتوبيس، والمترو، والميكروباص..

ويمكنك أن تمارس حياتك في الأوتوبيس، كما تمارسها في منزلك:

١- تتغذى، وتشرب، وتاكل وجبة واتنين وخمسة.

وبالنسبة للساندوتشات التي قمت بشرائها من عربية الفول اللي في الموقف، فيمكنك تناولها في وسط تطلعات وتمقيق مئات من أجواز العيون من حولك، ومصمصات الشفايف، وامتلاء المناخير برائحة المخلل اللي غالبًا بيكون بايظ (لو جايبه من حجازي اللي في موقف المظلات) ولا تنس أن تلقي بورقة الفول أو كيس المخلل من الشباك، وتزيح بقايا الفول والمخلل برجلك تحت الكرسي (حافظ على نظافة مدينتك).

أما إن كنت صائمًا، والجو رمضان، وصيف، والمغرب أذنت عليك، فأنت على موعد مع لجان الإفطار، وهي لجان تشبه لجان المرور لكنها تقوم بتوزيع التمر، والعرقسوس، والبلح (في المهندسين يتم توزيع زجاجات مياه معدنية).

٢- تنام وتحلم سواء نوم متقطع أو متصل، بشخير أو بدون، تستخدم كتف جارك كمخدة، توصيه بإيقاظك بعد ساعتين؛ عشان تلحق العصر حاضر.

٣- تذاكر وتراجع للامتحان، وتلخص المادة، وتتناقش مع زملائك، وتقوم بإعداد البرشام، وتتصل بصديق لسؤاله عن آخر محاضرة، وعن أسئلة الامتحان، وعن نتيجة الماتش.. الزمالك خسر كام؟ وعن مواعيد جداول الامتحان.. الخ.

٤- تتعبَّد وتقرأ قرآن، وتتلو أذكار الصباح والمساء، وتردِّد الأدعية وتستمع إلى إذاعة القرآن الكريم، أو إلى الوعظة التي يلقيها أحد الركاب المسنين في المترو، وتسبح الله، وتؤدي فريضة الزكاة حيث يمر عليك خلال المشوار مئات من الشحاتين، والمتسولين، والمرضى.

٥- تمارس الرياضة، وتمرينات اللياقة البدنية، واليوجا أحيانًا (خصوصًا في ٩١٢، وجميع أتوبيسات شبرا).

وفي المترو، تجد من يمارسون رياضة العقلة باستخدام المواسير والحلقات المعمولة؛ عشان الركاب يمسكوا فيها بإيدهم وسنانهم، فمصمم المترو افترض أنَّ الوقوف في المترو هو الأساس، وأنَّ الجلوس هو حالة استثنائية، لذلك تجد عدد المواسير والحلقات أضعاف عدد الكراسي، والمساحات المخصصة للوقوف أضعاف المساحات المخصصة للجلوس، ووقوفك في المواصلات ومطبات الشوارع هو رياضة تحميك من الجلطات، وتيبس العضلات والمفاصل.

٦- تنجز اتصالاتك التليفونية، وتتمم باقي أعمالك الكتابية، وتزور

أقاربك (غالبًا بيبقوا في نفس الأوتوبيس قاعدين في كرسي قريب) وتلاطف زوجتك أو خطيبتك، وتلاعب أطفالك، وتراجع حساباتك، وتعد نقودك، وتصل رحمك، وتود جيرانك.. اللي في الكراسي اللي جنبك.

وتستطيع أن ترى في وسائل المواصلات العامة "فئة الحبِّيبة" أو "ركاب الغرام" وهم إما رجل وزوجته، أو شاب وخطيبته، أو شاب وحبيبته، أو شاب وصديقته، أو شاب وواحدة ما تقربلوش.. ممكن تلاقي ملاطفة تصل إلى حد المداعبة، أو عتاب حميم، أو شكوى عاطفية مريرة، أو فضفضة على الماشي، أو مسك إيد، أو نظرات عيون هيمانة، وانت واقف ماسك في الحديدة، وعمال تنزل عرق، وهو عمال يحب، والجميع يتابع وكأنه فيلم سينيمائي، وصاحبنا العاشق يبدو وكأنه يشعر أنه في صحراء القطب الشمالي، بردان وضام رفيقته، ومش واخد باله إن في سبعتلاف جوز عيون تتابعه.

٧- عمل شوبنج متكامل.

شراء احتياجاتك من المناديل، والعطور، والحلوى، وأنابيب "الأمير"، و"سوبر جلو"، وبطاريات الراديو، وسلاسل المفاتيح، ومفارش المطبخ، والدبابيس، وبنس الشعر، والإمشاط، والفلايات، وإبر الخياطة، وكشَّافات النور، وأطباق الصيني.

وتستطيع أن تنمو، وتكبر، وتنضج فكريًّا، وتكون أسرة، وتنجب

أطفالًا إن ركبت الأتوبيس من المرج للجيزة مثلًا. كما يمكنك أن تنهي قراءة رواية "اللجنة لـ صنع الله إبراهيم، في رحلتك من منزلك لمدينة الشيخ زايد بالميكروباص، أو كتاب "ما فعله العيان بالميت" لبلال فضل في المسافة من عملك إلى بيتك، كما يمكنك قراءة جميع جرائد اليوم، والاستماع إلى أخبار الصباح سواء من الراديو أو من الركاب ذات نفسهم.

كما أن بعض المواطنين المصريين يحرصون على أداء وظيفة التكاثر في أتوبيسات النقل العام، والقيام بمهمة التحرش، وغالبًا ما ينتهي هذا الفعل بنظرة نارية، أو لطشة قلم، أو شتيمة بالأم، أو بوَخزة من دبوس الطرحة، أو تلبس قضية تحرش تلات سنين سجن، وغرامة ٥٠٠٠ جنيه.

إن بلادي التي جعلتني "ككائن مواصلاتي" أحيا بلا طموح حقيقي، وتكون أقصى طموحاتي أن أجد الأتوبيس المتجه لمنزلي بعد أن أنهي عملي في وسط البلد، وأن يسعدني الحظ وأجد ربع متر لأقف فيه، وجعلت من وسائل النقل أقصى طموح الإنسان (في القرن الواحد والعشرين) وأصبح الأوتوبيس مثله مثل رغيف العيش، وكيلو اللحمة إحدى الأمنيات الخيالية التي لا تنزل إلى أرض الواقع إلا في ما ندر..

سأظل أحب مصر رغم قسوتها، وسأظل أتغزل بها حتى آخر تذكرة في يد الكمسري.

أشهر شائعات
عن المسلمين والمسيحين في مصر

الشائعة في مصر كالماء والهواء، لا يوجد مصري يعيش بدون شائعة تبل الريق وتطري الجو، وتروق القاعدة.. ويروى أن امرأة ولدت طفلًا أسود، فحكى جارها الواقعة لصديقه بأن فولانة أنجبت طفلًا أسود، وحكى الصديق الواقعة لصديق آخر بأن المرأة أنجبت طفلًا أسود مثل الغراب، وحكى الصديق الآخر الواقعة لصديقٍ آخر بأن فولانة أنجبت غُراب، وانتشر في القرية الخبر الذي يتحدث عنْ المرأة التي أنجبت غرابًا.

والإنسان دائمًا يريد أن يشعر بأهميته، وفي البلاد التي يفقد الإنسان فيها أهميته، يلجأ إلى ما يجعله محط أنظار من حوله، ويبدو عليمًا ببواطن الأمور، وإن ابتكار إشاعة هي الطريق الأسهل؛ لخلق الدهشة على وجوه من تحدثه.

ولذلك فهناك طائفة تخصصت في إطلاق وترويج الإشاعات، إما لزوم جلسات الدردشة والفرفشة، وإما تدعيمًا لعاطفة أو كراهية تترسخ أحيانًا وتحتاج لدعم.

وأحيانًا تأخذ الشائعات طابعًا طائفيًا كتلك الإشاعات التي يتبادلها الأهلاوية والزملكاوية، أو الشائعات التي انتشرت بين السنة والشيعة في بداية عام ٢٠٠٩، ومن أهم الشائعات التي لها رائحة طائفية تخفي سذاجتها المتناهية تلك الشائعات التي يطلقها البعض على المسلمين والمسيحين في مصر:

-١-

كنيسة شهيرة في مصر القديمة فيها أسد ضخم مفترس، يتم إطعامه بأيّ مسيحي يحاول دخول الإسلام

ظلت هذه الإشاعة هي الأطرف في تاريخ طفولتنا، سمعناها من ناس كبار، وأثرت هذه الشائعة فينا الاعتقاد بأن هناك مسيحيون كثيرون هم في الحقيقة مسلمون (ومسيحيون كدة وكدة) خوفًا من الأسد.

وغالبًا يحلفلك مروِّج هذه الإشاعة إن واحد جار أخو صاحب زميل قريب صديق ابن عمه، سمع من واحد إنه شاف الأسد بعنيه الاتنين.. شوف إزاي.

-٢-

"المسيحي بيعاملك حلو؛ عايز يكسبك عشان هما أقلية، إنما اللي في القلب في القلب"

وتسأله: وانت عرفت منين إنه فعلًا مش بيحبك، هو إنت دخلت جواه؟

يقولك: دي حاجة معروفة إنهم ما بيحبوناش..

شوف إزاي.

-٣-

"المسيحين بياكلوا قدام المسلمين، والبنات المسيحيات بيلبسوا عريان خصوصًا في رمضان؛ عشان يفتنوا المسلمين الصايمين، ويبوظوا صيامهم.. كل مسيحية مفروض تفطر مسلم"

من أشهر الشائعات في هذه الشأن، تنتشر في قعدات المصاطب عندما يأتي ذكر المسيحيين في الأجواء الرمضانية، وربما يكون لها مقابل في الأوساط المسيحية لا أعلمه.

أنا شخصيًا كل أصدقائي المسيحيين أو زملائي في العمل يستحون من الأكل أمامي في رمضان، مراعاةً لمشاعري (رغم أن هذا لا يؤذيني إطلاقًا)

وغالبًا ما أغادر المكان حتى لا يجد غضاضة من تناول طعامه، ورغم أنني في أيام الصيام المسيحية، لا أمتنع عن تناول اللحوم، والشاي أبو لبن.

من الآخر، حجة البليد مسح التختة، واللي عايز يصوم، بيصوم حتى لو شغال في مطعم.

-٤-

الأمن اللي على الكنيسة مش عشان يحميها؛ دول جواسيس للأمن

وهذه الإشاعة نتيجة لبعض أحداث العنف الفردية أو الإرهابية التي لم يوفق الأمن في منعها، وتضرر منها مسيحيون. وطبعًا إذا كان في تقصير حكومي فبالتأكيد ليس تقصيرًا طائفيًا، وإنما يعاني منه المسلم والمسيحي على السواء.

-٥-

أوعى تاكل عند مسيحي؛ عشان هيحطلك لحم "مورتاديللا" في الأكل، ولا تشرب مية في بيت مسيحي؛ عشان دي بتبقى مية مصلية

طبعًا دي أقرب للنكتة منها للإشاعة، لكنها للأسف منتشرة بشدة في الأوساط الجاهلة؛ لأن غالبية المسيحين في مصر ببساطة لا تميل إلى أكل

لحوم الخنزير (المورتاديللا) ليل نهار زي ما إحنا فاكرين. أما بخصوص المية المصلية فدة شبه المسيحي اللي خايف يشرب عند مسلم؛ ليسقيه مية زمزم.

-٦-

الرهبان والكهنة بيلبسوا أسود، ده من الحزن؛ عشان الإسلام دخل مصر وهيلبسوا أبيض لما ترجع دولة مسيحية تاني

طبعًا أحسن رد على هذه السخافة إنك تسأله: وياترى الشيخ في الجامع بيلبس أبيض من كتر الفرحة؟

ومعروف أن الزي الأسود للكاهن يميزه عن بقية الشعب، وهو موروث من عصور الاضطهاد، حيث كان يتم إجبار المسيحيين على ارتداء اللون الأسود.

-٧-

الكنيسة بيجيلها تمويل من أمريكا؛ عشان هما مسيحيين زيهم، وعايزين يسندوهم ضد المسلمين

هو أصلًا عمر ما كان للكنيسة أغراض غير مشروعة؛ عشان نخاف

من تمويل خفي، لكنها تساهم زيها زي المؤسسات الدينية الإسلامية في بناء المجتمع، والاتنين في الآخر بيفشلوا في ظل تيار الهدم المستوحش.

وأمريكا عندما دخلت العراق، لم تنتقِ المسلمين، لكنها قتلت الاتنين.

وعمومًا فإن مصادر تمويل الكنيسة المعلنة، ضريبة العشور، وتبرعات الأقباط، تمويل مجلس الكنائس العالمي.. وإذا كان على التمويل الأمريكي فمصر ذات نفسها تحصل على المعونة الأمريكية.

-٨-

إوعى يا عم تقول له إن إحنا (مسيحيين أو مسلمين) أحسن أول ما هيعرف هيخنّق علينا

دى مقولة بيقولها مسيحي وسط مسلمين، أو يقولها مسلم وسط مسيحيين عكسها..

إفتكرت نكتة بتقول: إنَّ مسلمين كانا يسيران في الصحراء بدون أكل أو شرب، وكادا يموتان عطشًا وجوعًا، وفجأة رأيا على البعد كنيسة كبيرة، فقررا الدخول طلبًا للماء والطعام، لكن الأول قال: أنا هقول إني مسيحي واسمي جرجس أحسن يضربونا يا برنس، أما الثاني فقال: لا يا عم أنا هقول إن اسمي محمد زي ما أنا، واللي يحصل يحصل..

فسألهم القسيس عن الاسم،

فقال الأول: اسمي جرجس.

وقال الثاني: اسمي محمد.

فقال القسيس: أحضروا الطعام لمحمد، وقولوا لجرجس نحنُ اليوم صائمون!

-٩-

شم النسيم عيد مسيحي، والمسيحين بيحتفلوا بوفاة الرسول، وشموا النسيم لما الرسول مات

فوجئت إن الإشاعة دي منتشرة بشدة، خصوصًا بين كبار السن وبعض المتدينين، رغم أنَّ شم النسيم هو أحد أعياد مصر الفرعونية، ويرجع الاحتفال به إلى ما يقرب من خمستلاف سنة، يعني قبل نزول السيد المسيح أساسًا.

وربما يرجع سبب الإشاعة إلى ارتباط يوم شم النسيم بعيد القيامة المسيحي، والسبب تاريخي حيث حدث بعد دخول المسيحية إلى مصر أن واجه المصريون مشكلة في الاحتفال بشم النسيم، إذ أنه كان يقع دائمًا داخل موسم الصوم الكبير المقدس الذي يسبق عيد القيامة المجيد، فكانت

هناك صعوبة خلال فترة الصوم في الاحتفال بعيد الربيع، بما فيه من انطلاق، ومرح، وأفراح، ومأكولات.. لذلك رأى المصريون المسيحيون وقتها تأجيل الاحتفال بعيد الربيع (شم النسيم) إلى ما بعد فترة الصوم، واتفقوا على الاحتفال به في اليوم التالي لعيد القيامة المجيد، الذي يأتي دائمًا يوم أحد، فيكون عيد شم النسيم يوم الاثنين التالي له.

-١٠-

بيعملوا قصة حب مع البنت المسيحية؛ عشان يدخلها الإسلام (أو) بيعملوا قصة حب مع بنت مسلمة؛ عشان يدخلها المسيحية

يعني ما تفهمش إزاي واحد ممكن يستخدم (التظبيط) في الدعوة للدين بتاعه.

-١١-

اعتناق المطرب عمرو دياب للمسيحية

واتخذت الشائعة من ترنيمة للسيدة العذراء مريم دليلًا لها، تقول كلماتها "لما جيتي يا عذراء ليا تمسحيلي دموع عنيا.. لما جيتي زرتي بيتي حبك كان كتير عليا.. إنتي فرحة للحزانى في الضيقات دايمًا معانا..

اشفعي يا عذراء لينا والدموع ولا يوم تجينا.. الخطية في البداية نار في قلبي مش ناسيها.. الخطية رغم نارها كنت برضه بمشي فيها".

وذكر موقع "الهيئة القبطية" أن المغني المصري عمرو دياب اعتنق المسيحية بعد أن ظهرت له السيدة العذراء مريم أثناء صلاته إلى الله، وعلى إثر هذا الحدث قام بتسجيل تلك الترنيمة يتحدث فيها بكلماته عما حدث، وتحديدًا أثناء ظهور السيدة العذراء مريم له، واتهم موقع الهيئة القبطية وسائل الإعلام بالتعتيم على الموضوع.

وتم تكذيب الإشاعة بأن ترنيمة "لما جيتي يا عدرا ليا" إنما هي للمرنِّم ميشيل طلعت.

-١٢-

شائعات إسلام مايكل جاكسون مطرب البوب الأمريكي الأشهر، وباتيستا لاعب الكرة الأرجنتيني، وبيل جيتس صاحب ميكروسوفت وأغنى رجل في العالم، وتوم كروز الممثل الأمريكي، وجورج وسوف المطرب اللبناني (نشرت صور جورج وسوف على الإنترنت مرتديًا جلابية بيضاء وعقال خليجي)

ولكل واحدة من هذه الشائعات قصة لسنا بصدد ذكرها هنا، لكنني أعتقد أنَّ المسلمين المغلوبين على أمرهم قد يرون في إسلام مطرب عالمي، أو ممثل، أو رجل أعمال، نصرًا عظيمًا للإسلام، لكن يحضرني الآن بعض

أسماء رجال الأعمال، وأغنياء المسلمين، الذين لم يزيدوا الإسلام، ولكن زادو عليه.

-١٣-

تنصُّر أحد شيوخ الأزهر!!

وهي الإشاعة التي أطلقها أحد القساوسة المشهورين في حربه مع الدكتور يوسف زيدان مؤلف عزازيل، والتي اتضح فيما بعد أنها إشاعة عارية من الصحة والدقة، وأنَّ الموضوع له أصل آخر.

المعني بالإشاعة هذه المرة ليس من علماء الأزهر، ولكنه الدكتور محمد محمود رحومة الوكيل السابق لكلية الدراسات العربية بالمنيا، ورئيس مركز سوزان مبارك للثقافة والفنون، والذى تم اتهامه بإختلاس مئات الآلاف من الجنيهات من الجامعة إلى حسابه الشخصي، وتمَّ تحويله إلى النيابة، ومنها إلى القضاء الذي حكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة ٢٠ سنة، والعزل من وظيفته، وهنا لجأ إلى حيلة مضمونة ومتجربة وهي السفر إلى الخارج، وإدعاء التنصر، وزعم الاضطهاد والتحايل على المنظمات الحقوقية.

عزيزي المسلم والمسيحي،

كنت ذات مرة في صغري مشغولًا بالخناق مع صاحبي أثناء لعب (البلي) على مين يلعب الأول، وفضلنا نتخانق إلى أن جاء الواد حسن،

وكان دائمًا يقوم بدور الشخص الغتيت؛ لأنه كان يكبرنا بعامين، فأخذ حسن (البلي) وجري.

وظللت أنا وصاحبي نبكي بدون (بلي)

الفرحة الأورديحي

المصريون لا يؤمنون بالفرحة الأورديحي..

تلك الفرحة الخالية من الأكل، والسمن، والزيت، والسكر، واللحمة، واليميش، والقمر الدين، والعصائر، والكحك، والبسكويت، والملابس، واللحمة، والسمك، والسردين، والرنجة، والبصل، والملانة، والعاشورا.

المصريون يرون في كافة المناسبات موسمًا للشراء، رمضان لشراء السلع والخزين، والعيد لشراء الملابس الجديدة، والكحك، والغريبة و-لامؤاخذة- البيتيفور، والبسكويت.. وهكذا فإن المصريين حولوا بقدرة قادر كافة المواسم إلى مواسم للشراء لا للعبادة، أو التهاني، أو الفرحة خالية الدسم.

لا نفرح إلا إذا كانت الفرحة متغمسة بلحمة ضاني، ولا نفرح إلا أن نبلع وراء الفرحة شفطة من قمر الدين أو العرقسوس، ولا نفرح إلا إذا ارتدينا ثياب الفرحة الجديدة المبتاعة من شارع الشواربي، و٢٦ يوليو،

والعتبة والموسكي، ولا نفرح إلا إذا مسكنا بين أيدينا حلويات الفرحة، ومضغناها بأسناننا.

الفرحة بتعريفها الفطري لا تتضمن أي أدوات غذائية، بل هي فرحة الأهل، والأحباب، والأصدقاء، وهي فرحة الطبيعة الجميلة، وفرحة المواسم الطيبة، وفرحة العودة للعام الجديد، والعيد الجديد، ورمضان الجديد، والموسم الجديد.

لكن إذا عزّت الفرحة، وصارت صعبة وبالغة المحال، كان لابد من تقديمها في رغيف أو طبق مرصّع باليراميش، ومحوط بكحك العيد، ومبطن باللحوم المشوية حتى يتسنى لنا تذوقها.

يأتي رمضان، شهر الصوم، فتنتاب المصريين حالة من النهم الشديد، وبدلًا من الانصراف عن الأكل، والشرب، والتفكير في الزهد لمدة ثلاثين يومًا، يبدأ التفكير الفوري في كيفية تخزين الطعام والشراب بكميات ضخمة.

كميات هائلة من البلح، والقمر الدين، والتمر هندي، والعرقسوس..

أكياس وأشولة الياميش، الجوز، واللوز، والفزدق، وعين الجمل، والذي منه..

ثم يبدأ رمضان في الانتهاء، ويقبل عيد الفطر، فتطرأ على المصريين تغيرات موسمية كتلك التي تطرأ عليهم في دخلة رمضان..

كميات ضخمة من الكحك، والبسكوت، والغريبة، والبيتيفور، ورنجة، وبصل أخضر..

وما أن ينتهي عيد الفطر، وتبدأ المعدة المصرية في الذهول من أثر المعركتين حتى يأتي عيد الأضحى.

وهو العيد الغذائي الأول في حياة المصريين، عيد اللحمة.

وهو المناسبة الوحيدة تقريبًا التي يأكل فيها المواطن المصري ذلك الشيء العجيب المسمى باللحمة، والتي يضيق المرتب ذرعًا بشرائها.

وما بين رمضان، والعيد، والعاشورا، وشم الفسيخ ووو.. يرفض المصري تلك "الفرحة الأورديحي" ويعتبرها إهانة في حقه، ويصر على "الفرحة المتغمزة".

فرحة اللحمة

لمنظر اللحمة في قلب الإنسان المصري فرحة وشوق يفوق فرحته بجواز ولاده، ومكانة كبرى لا تماثلها سوى مكانة الذهب، والماس، والأحجار الكريمة، و"**فرحة اللحمة**" هي حالة تنتاب المواطن عند رؤية اللحمة بعد غياب شهور طويلة، تمامًا مثل "**دوار البحر**" الذي يصيب الراكب الذي لم يتعود على ركوب السفن في البحر.

وهناك حالة "**إسفكسيا اللحمة**" وهي حالة تنتاب بعض الأشخاص المفاجيع عندما تتاح لهم فرصة أكل لحمة بكميات ضخمة، وأعراضها احمرار في العيون، وتناحة، واسبهلال، وتبريق، وتضخم واحمرار الأذن، كما إن "**جفاف اللحمة**" هو أحد الأعراض الجانبية التي تصيب جيوب المواطن المصري جراء محاولته شراء لحمة لأولاده، وتستمر هذة الحالة قرابة الشهر مع أخذ المسكنات، والمهدئات، من السلف والشحاتة.

كما أن "**صدمة اللحمة**" هو الشعور الذي يفاجئ المواطن عند الذهاب

إلى الجزار حاملًا عشرة جنيهات لشراء كيلو لحمة، وهو الثمن الذي حصل به آخر مرة على كيلو لحمة منذ سنوات، فيجد أن الكيلو صار بخمسين جنيه، وأن العشرة جنيهات تكفي لشراء عضمة.

وكعادة الشعب المصري عندما يعطي كل مناسباته مسميات غذائية فتجد "عيد الكحك" و "موسم الفسيخ" و "يوم العاشورا" تجد أيضًا "عيد اللحمة" وهو اسم مجازي يطلقه المصريون على عيد الأضحى المبارك الذي يحتفل فيه جميع طوائف الشعب المصري برؤية اللحم.

وينقسم الشعب المصري إلى قسمين: أغنياء وهم الطبقة الميسورة الحال التي تستطيع أن تأكل اللحمة مرة أول كل شهر، و فقراء وهم الطبقة التي تأكل الحمة في عيد الأضحى المبارك، وربما أيضًا في مولد السيدة، ومولد النبي، مع اختلاف نوعيات اللحوم المستخدمة في كل من الطبقتين، فهناك لحم أحمر نقي، صافي، خالي الدهن والعظم، وهناك لحم يتخلله بعض الدهن والعظم، وهناك دهن وعظم يتخللهم بعض اللحمة.

كما أنَّ هناك فئة تأكل العظم ويسمونه "ماسورة"، وهناك من يكتفي بفواكه اللحوم، وهي الفشة، والكرشة، والسمين، والممبار، والطحال، والكبدة، واللسان، ولحمة الراس، والفتة، بالإضافة إلى الكفتة "الكور" وبتكون عبارة عن أرز يتخلله روائح اللحوم.. وجميع هذه الأشياء تجدها في محلات "بحّة"، و"حبايب السيدة"، و"العهد الجديد"، و"الركّيب"، و"شَكل"، و"أبو السعود"، و"ضبُّــو" في السيدة، والحسين، وشبرا، وروض الفرج.

واللحمة في مصر – لمن لا يعرفها – هي شيء عجيب ونادر، وهي إحدى المكنونات ذات البهاء، والسحر، والشعوذة، يراها المصريون عند الجزار فتخلب الألباب، وتطير العقول، وتخفق القلوب.. ولكنك إن كنت قارئًا جيدًا في "سيكولوجيا اللحوم" فستجد أن هناك شعوبًا "متشحتفة" أكثر من المصريين، ووصلت درجة انبهارهم باللحمة حدًّا لا يوصف، فتجد مثلًا شعوبًا تقوم بعبادة البقر، وتقديس الطيور، وتوقير الماعز، وإحترام البط والوز، وأقرب مثال هو الهند التي يقوم الناس فيها بتقديس البقرة الحلوب.

وكما إن هناك "فرحة اللحمة"، فإن هناك "لحمة الفرحة"، حيث يعبر المصري عن فرحته في المناسبات المختلفة بتوزيع اللحمة باعتبارها شيئًا غاليًا، ونفيسًا، ونادرًا، ويبادر المصري في حالات الولادة، والطهور، والجواز، وغيرها من المناسبات السعيدة، بالتعبير عن فرحته العارمة بشراء كمية من اللحم، وتوزيعها على أقربائه، وجيرانه، ومحبيه.

وإليك عزيزي القارئ بعض النصائح إن كنت مقبلًا على تجربة أكل اللحمة:

أولا: تماسك، وامسك أعصابك، وهدي نفسك عند رؤية اللحمة للوهلة الأولى، وعِـد من واحد لغاية مائة، واجلس على أقرب مقعد.

ثانيًا: ابلع اللحمة بسرعة وبدون مضغ، ربما يصدر قرار وزاري بمنع اللحوم مثلًا فيمنعك من استكمال الأكل، أو تدخل اللحمة ضمن قانون

الطوارئ، أو يتم استصدار قانون جديد اسمه قانون العكاوي مثلًا.

ثالثًا: إن أردت أن تعيش في مصر حياة كريمة، وتأكل لحمة كل شهر، فعليك بزيارة الموالد، وحلقات الذِّكر، وحفلات الطهور، واحرص على أن تكون ضيفًا دائمًا لموائد الرحمن في رمضان.

رابعًا: يمكنك تناول اللحمة من اليمين للشمال على الطريقة الشرقية، أو حسب الطريقة الإفرنجية من الشمال لليمين.

خامسًا: لهواة أكل اللحمة النية أو النص سِوى، تجنب ملاعبة الأطفال الأبرياء بعد الطعام.

سادسًا: إذا أكرمك الله، وشاركت في ذبح أضحية، فعليك بحسن معاملة الخروف، فهو متربي أحسن تربية، ولا يقل مقامًا عنك، فهو أكل من نفس العلف الذي صنعت لك الحكومة منه الخبز، وربما أنضف.. يعني فيه بينك وبينه عيش وملح.. وعلف.

وأخيرًا، أتمنى لكم دوام "فرحة اللحمة" طوال العام، وأيضًا أتمنى لكم المزيد من لحمة الفرحة.

الأرض بتنشق وتبلعنا

في مصر، عندما يحترق مسرح، يحترق في ذيله مجلس شورى، ومدرسة، وجامعة، وعندما يحترق بنك يحترق فورًا قطار، وسينما، ومستشفى، ومؤسسة فتظل صفحات الجرائد تموج بألسنة اللهب، وتعج بأخبار الحرائق لمدة شهرين على الأقل، لدرجة أنك عندما تفتح الجريدة تلفحك نيران صفحات الحوادث.

وعندما يتصادم قطار الصعيد كعادته، يتصادم في نفس اليوم أتوبيس مع مقطورة على طريق الأوتوستراد ساعة عصاري، وينقلب أتوبيس نقل عام من فوق كوبري السيدة عائشة ساعة مغربية، وأتوبيس سياحي من فوق كوبري الجيزة وقت القيلولة، ويسقط ميكروباص على طريق المنيا في الترعة في غفلة من الزمن، وتتحول صفحات الجرائد إلى "محطة مصر" كبيرة، وتتفرغ الصحف لنشر صور القتلى والجرحى، وبقايا الاوتوبيسات المنقلبة، والقطارات المحترقة.

من المعروف، والمُلاحظ، والغريب، أن الأحداث الجسام في مصر لا تأتي فرادى، ولكن تأتي في صورة مواسم متتالية، ومتعاقبة، ومتتابعة، بحيث لا يجد المواطن المصري لحظة يشم فيها نفسه، دون أن تقع عينيه على خبر في جريدة، أو لقطة في نشرة أخبار، عن حادث مروع، وعن ضحايا، وجثث، وأنقاض، وربما يحدث أحيانًا - كما حدث معي كثيرًا- أن يوفق الله المواطن؛ كي يرى الحادث على الطبيعة Live كدة.

وهكذا فإن الحوادث في مصر مواسم..

وده مش عيب، بالعكس.. أنا شايف إن ده يدل على نظام عظيم، وبعُد نظر لحكومتنا التي تُدار إلكترونيًا، فتستطيع تنظيم قتل شعب مصر، بحيث يختار كل إنسان موتته التي يعشقها، وينتظر الموسم الخاص به.

فمثلًا قد تسمع هذا الحوار في يوم من الأيام بين اتنين مصريين:

الحاج عوض: ادعيلي يا شيخ خميس، نفسي أموت شهيد في عبَّارة غرقانة.

الحاج خميس: روح يا شيخ، ربنا يجعل في وشك القبول، وتكون من نصيب السمك، أنا بقى نفسي يقع بيا أتوبيس من فوق كوبري، بيقولك موته عال وماتحسش بحاجة.

الحاج عوض: ياااه يا شيخ خميس، إنت عارف الواد شلاطة ابن نبوية، أهو ده اللي اتقلب بيه أتوبيس من فوق كوبري، كان واد إنما إيه.

الحاج خميس: آآه ولا الست سميحة مرات الشيخ حسانين اللي اتحرقت بيها المدرسة الإعدادي اللي كانت شغالة فيها.

الشيخ عوض: شوف، طول ما نيتك خالصة لله، ربنا هيرزقك الموتة اللي تحلم بيها، سيبها على الله.

كل هذا طبيعي، وتعودنا عليه حتى صار من المسلمات في مصر.

ليس هذا فقط، بل إن أنواع الحوادث في مصر صارت بمرور الأيام معروفة ومحفوظة لرجل الشارع العادي، حريق، تصادم قطارات، غرق عبّارة، سقوط عمارة، بالإضافة لجرائم القتل، والاغتصاب، والذبح، والحاجات العادية دي.

وفجأة..

وعلى حين غرة، فوجئنا بنوع جديد من الحوادث، تسلل إلى قائمة الحوادث المصرية دون استئذان، بل كان نوعًا طريفًا وعجيبًا إلى حدٍّ ما، وهو نوع آخر من الإهمال الحكومي، يسانده القضاء والقدر بشدة، ويختلف عن باقي الأنواع في طبيعته لكنه اتفق معها في التكاتف على المواطن المصري وإرعابه.

فما هو هذا النوع الجديد من الكوارث الذي هلَّ علينا فجأة؟

خسف أرضي في العاصمة المصرية القاهرة (٥ سبتمبر ٢٠٠٩)

حالة ذعر بعد هبوط بطريق القاهرة – السويس (٢٣ أبريل – ٢٠٠٩)

هبوط أرضي بكفر الشيخ يثير ذعر المواطنين (٢٠ سبتمبر ٢٠٠٩ الساعة ١١ صباحًا)

هبوط أرضي بعمق مترين أمام المستشفى الميري بمحطة الرمل في الإسكندرية (١٧ سبتمبر ٢٠٠٩)

هبوط أرضي "بالسنطة" بمحافظة الغربية (٢٠ سبتمبر ٢٠٠٩ الساعة ٧ مساءً)

هبوط أرضي يبتلع السيارات في باب الشعرية، تعديلات مرورية بباب الشعرية إثر الهبوط الأرضي (٣ سبتمبر ٢٠٠٩)

هبوط أرضي مفاجئ للمرة الثانية في باب الشعرية (٥ سبتمبر ٢٠٠٩)

هبوط أرضي بسكة حديد المنيا (١١ أبريل ٢٠٠٩)

سكان حي المعصرة يستيقظون على هبوط أرضي (٢٢ مارس ٢٠٠٩)

تعرض مساكن الشباب بالرماية لهبوط أرضي (٢٠ مارس ٢٠٠٩)

هبوط أرضي بقرية بالشرقية، وإخلاء ٤ منازل (١٤ مارس ٢٠٠٩)

هبوط أرضي بمدرسة إعدادية بشبرا الخيمة أجّل الدراسة بها (٢٦ فبراير ٢٠٠٩)

لم يتبق من الكوارث التي داهمت المصريين بضراوة في السنوات الحكم المباركة، سوى أن تنشق الأرض وتبتلعهم بكل همومهم، وجوعهم، ومرضهم، بكل فقرهم، وجهلهم، وحرمانهم من الحياة فوق سطح الأرض؛ ليستريح الرعاة والأتباع منهم، ومن شكواهم، وأناتهم، ونظراتهم المليئة بالألم والحاجة.

تعلم المصري في أقسام الشرطة، وأمام موظفي الحكومة، وأثناء دفع فواتير المياه والكهرباء، وفي طوابير العيش أن يدعو الله أن (تنشق الأرض وتبلعه).

وها هي الأرض قد لبّت أمر ربها، فبدأت الاستجابة.

الفتوى التي قصمت ظهر البعير

تتميز الأمة العربية، ومصر تحديدًا، بميزة لا يوجد في نظيراتهما من بلاد وأمم المعمورة، ألا وهي الفتاوي الملاكي والخاصة، والفتاوي الطائرة، وهذا ليس لأن باقي الدول ملحدين أو لادينيين، بالعكس، لهم دياناتهم وعلماء دينهم، لكننا ابتدعنا طريقة جديدة للتغذية، وهي التغذية على الفتاوي.

في بلادنا العربية تحتاج الشعوب من آنٍ لآخر لفتوى غريبة، فتوى فضائية، أو فتوى صحفية، أو فتوى منبرية.. المهم أن تُلقى على رؤوسنا فتوى من حيث لا نحتسب، فنفرح، وننتعش، ونطرى على قلوبنا بالفتوى الجديدة.

ولو اطلع عالم اجتماع أجنبي لم يعش على أرض العرب على فتاوانا، لراوده شعور بأننا شعب يحيا على كوكب آخر، وليس على كوكب الأرض، أو شعب يعيش في القرن السبعين قبل الميلاد، وليس في الألفية

الثالثة، أو أننا كائنات ذات حراشيف خضراء تتكاثر بواسطة قرون استشعار، وليس أمة لها تاريخ ضارب جذوره في أرض الزمن، وذات حضارة أنارت العالم أجمع، وأسست للعلم، والفن، والأدب، والثقافة، مبادئه وأسسه..

ولدينا في بلادنا العربية دكاكين فتاوى، ويمكن للأفراد إصدار الفتاوى بمجرد الحصول على (ترخيص فتوى) وربما تجد مستقبلًا محلات الشيخ محمود للفتاوى، أو فتاوى الحبهاني لصاحبها الشيخ مصطفى الحبهاني، أو مركز إمبابة الدولي للفتوى.

وغالبًا ما يشوب الفتاوى الطائرة أحلام يقظة، تأتي من عقول مغيَّبة، معزولة عن الواقع والزمن.

لكن أحيانًا تحمل الفتوى بكل ما فيها من غرابة قدرًا كبيرًا من الصحة، وابتغاء مرضاة الله، لكن توظيفها زمنيًّا يتم بشكل خاطئ، في الوقت الذي يحتاج فيه المسلمون إلى وقفات، ودفعات، واستعادة الهمم، فتجد أنَّ الفتوى تشغل الرأي العام لعدة أسابيع؛ لمناقشة موضوع يكون المسلمون في أغنى ما يكون عن مناقشته في الوقت الراهن.

وتأتي فتوى إرضاع الكبير لصاحبها الدكتور عزت عطية، رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بالقاهرة، على رأس الفتاوى الطائرة، وأفتى فيها سيدنا الشيخ كما نعرف جميعًا بجواز إرضاع المرأة للبني آدم الكبير أو (جواز إرضاع الموظفة لزمليها في العمل؛ لمنع وجودهما في خلوة شرعية) على اعتبار أنه هيبقى زي ابنها.

وتسببت هذه الفتوى في موجة غضب وسخرية عارمة في العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، وصارت مادة خصبة للسخرية في الصحافة والإعلام، وقامت جامعة الأزهر بإحالة الدكتور عزت عطية إلى مجلس تأديب، ووقفه عن العمل، ثم تمَّ عزله من منصبه، معتبرة أن تلك الفتوى توجب العزل من الوظيفة؛ لأنها سببت بلبلة في العالم العربي، والإسلامي، وعلى المستوى العالمي، إلى جانب كونها إهانة للإسلام بعد أن أصبحت مصدرًا للنكات والتشنيع على الدين، كما صارت وسيلة لبعض الشباب لمعاكسة البنات، وجرح حيائهن - بحسب جريدة الأهرام في ٢٠٠٧/٩/١٧.

والفتوى التي أفتاها الدكتور على جمعة مفتي الجمهورية بجواز التبرك ببول الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي احتلت مساحات ضخمة من الإعلام المصري والعربي؛ لمناقشتها والبت في صحتها، وقد هاجم الدكتور زقزوق وزير الأوقاف المصري هذه الفتوى معتبرًا إياها "إساءة واضحة للنبي صاحب الدعوة، الذي كان نقيًّا في كل شيء، ولا يقبل مطلقًا بهذه التخاريف" بحسب ما قال الدكتور زقزوق.

وفتوى أفتاها الشيخ رشاد حسن خليل، عميد كلية الشرعية والقانون السابق، بأن" التجرد من الملابس أثناء المعاشرة الزوجية يبطل عقد الزواج" يعني تبقى نايم مع مراتك، وفجأة تبقى طالق منك؛ لأن البنطلون وقع، وهذه الفتوى سُميت على لسان العامة (الجنس بالملابس الرسمية) ورد جمهور العلماء عليها بالنص القرآني الواضح ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

ومن الفتاوى التي فتحت بابًا للفتنة ولسخرية الغرب، رغم أن الشيخ كان هدفه نبيلًا، هي فتوى قتل ميكي ماوس للشيخ المنجد، حيث قال أنَّ كارتون ميكي ماوس، وتوم وجيري يحبب الأطفال في الفئران، رغم أنَّ الفأر حيوان مكروه شرعًا، وأنه يقتل في الحلِّ والحرم، وأنه يضرم على أهل البيت النار، وأنه نجس، وأنه كائن مفسد، وأن ميكي ماوس صار لدى الأطفال شخصية عظيمة رغم أنه شرعًا يُقتل، ورغم أن الكلام نظريًّا مقبول إلا أنني لا أعتقد أبدًا أنَّ هناك أطفالًا تحبُّ الفئران رغم حبهم لميكي ماوس، وتوم وجيري، بل على العكس، فإذا ما وُجد فأر استقبله أول ما يستقبله الأطفال بالمصافحة بالشباشب، وأنا واحد من الناس، أشاهد توم وجيري منذ نعومة أظافري، وإلى الآن، ولا أظن أبدًا أنني لو شوفت فار هاخده بالحضن، بل أكره الفئران كره العمى.

نظريًّا أراد الشيخ خيرًا، ومنطقه ربما يكون صحيحًا من الناحية النظرية، لكن عمليًّا سببت هذه الفتوى جدلًا، وفتنة كبيرة، وسخرية ما بعدها سخرية من الغرب والشرق برجال الدين الإسلامي، وأعتقد والله أعلم أن أمتنا في غنى شديد عن تحريم كارتون الفئران وتحريمه.

ويعتبر الشيخ جمال البنا صاحب العدد القياسي في الفتاوى الغريبة، ومنها فتواه بإباحة القبلات بين الشباب والفتيات في الأماكن العامة، معتبرًا أن القبلات بين غير المتزوجين من الشباب والفتيات من الضعف البشري، وتدخل ضمن اللمم في الإسلام، أي الذنوب الصغيرة التي تمحوها الحسنات، وهي الفتوى التي لاقت قبولًا شعبيًّا بين فئة من

الشباب، لدرجة أنَّ بعضهم أصبح من مريدي الشيخ البنا.

وجاء رد الدكتور عبد الهادي مصباح عليه طريفًا تمامًا كما الفتوى، فقال دكتور مصباح، أستاذ التحليل الطبية والمناعة بجامعة القاهرة، أن هرمون "الأوكسيتوسين" الذي يطلق عليه هرمون الحب، يرتفع مستواه بعد القبلة أي أن القبلة هي تمهيد للعلاقة الكاملة.

وللشيخ البنا فتاوى أخرى طائرة منها:

- جواز التدخين للصائم، أي أن شرب السجائر في نهار رمضان لا يُفطر.
- التحول من الإسلام إلى اليهودية والمسيحية ليس كفرًا، وأن الإسلام لم ينسخ أيًّا من الأديان السماوية السابقة له.
- فصل الجنسين عملية وحشية.
- لا لزوم للحجاب، وشعر المرأة ليس عورة.
- الحجاب غير شرعي، وليس في القرآن والسنة أمر بالحجاب.
- تغطية المرأة لصدرها هو الحجاب.
- لا شهود، ولا مهر، ولا ولي، في إثبات صحة الزواج.
- لا يقع طلاق الرجل لزوجته منفردًا بدون موافقتها.

- يجوز إمامة المرأة للرجال في الصلاة.

كما أن الإنترنت ساعد بشدة على دعم وانتشار الفتاوى الطائرة، فهناك شيخة اسمها (أم أنس) لها موقع على الإنترنت أفتت فيه أن (الكرسي) هو أخطر المفاسد التي بُليت به أمتنا العظيمة - أيوة الكرسي اللي بنقعد عليه- والسبب هو أنَّ السلف الصالح كانوا يجلسون على الأرض، و لم يستخدموا الكرسي، وهو تشبه بالغرب، وهذا والعياذ بالله يهدم ركنًا عظيمًا من الإسلام، وهو الولاء والبراء، وأفتت الشيخة أم أنس بأن جلوس المرأة على الكرسي رزيلة، وزنا لا شبهة فيه.

وفتوى باكستانية ظهرت في بعض قرى باكستان بتحريم تطعيم شلل الأطفال؛ لأنها مؤامرة من الغرب لإصابة الأطفال المسلمين بالعقم، وجاءت هذه الفتوى ردًّا على فتوى رسمية تعزز مجهودات الحكومة في التطعيم ضد شلل الأطفال.

وفتوى دار الإفتاء المصرية بجواز إفطار لاعبي المنتخب القومي في نهار رمضان أثناء مباراة مصر مع رواندا في تصفيات أفريقيا المؤهلة لكأس العام.

السؤال الذي تمنيت أن أعرف له إجابة: هل كانت هناك فتوى مشابهة في حرب أكتوبر بجواز إفطار المحاربين؟

الطريف جدًّا في الموضوع أن مفتي رواندا - سوالح حابيمانا — رد على الفتوى المصرية بفتوى رواندية، وذلك بمنح لاعبي رواندا رخصة

للإفطار أثناء مباراتهم مع مصر.

وقد ردت جبهة علماء الأزهر على هذه الفتوى: "اللعب هو اللعب على جميع أحواله، وهو ليس من ضرورات الحياة التي يرخص الفطر لها عند الحاجة في نهار رمضان".

وقد صحا الشعب الجزائري ذات يوم على فتوى بتحريم الأجر الثابت، وقد استند أصحاب الفتوى على أن الرسول كان يعمل لقوت يومه، ويكسب رزقه يوميًا، وأن الأجر الثابت لم يكن واردًا في السنة النبوية.

أما فتوى تزغيط البط فهي من الفتاوى الغذائية.

فقد دار في الأوساط الدينية جدل حول جواز تزغيط البط – أي تغذية البط غصب عنه – وقد جاء الجواب الشافي الذي حسم الجدل على أحد المواقع الإلكترونية الإسلامية بعنوان: "تزغيط البط رؤية فقهية"! ملخصها أن تزغيط البط جائز لكن تحت إشراف طبيب بيطري.

ومن الفتاوى التي تحمل طابعًا سياسيًا أكثر منه طابعًا دينيًا، فتوى أطلقها الشيخ طنطاوي شيخ الأزهر عام ٢٠٠٧ بجواز جلد الصحفيين ٨٠ جلدة بتهمة ترويج الشائعات وإثارة الفتن.

واعتبر المفكر الإسلامي عبد الصبور شاهين، ما طالب به شيخ الأزهر نوعًا من تسييس الفتاوى دينيًا.

ومن الفتاوى ما قتل..

فهناك الفتوى التي صدرت عن دار الإفتاء عقب النكسة، والتي تنص على تكفير كل من يتعامل مع إسرائيل باعتبارهم كفرة، والعدو الأول للمسلمين والإسلام، وهذه الفتوى هي ما استند إليها قاتلوا السادات عام ١٩٨١ في دفاعهم.

والفتوى التي أصدرتها عام ١٩٩٨ خمس منظمات إسلامية تتبع الإسلام السياسي منها (تنظيم القاعدة)، والتي تجيز الحرب على الولايات المتحدة وحملت الفتوى توقيع أسامة بن لادن، وأيمن الظواهري، وغيرهما، وأدت هذه الفتوى إلى الهجوم الذي تم في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والتي أتبعها حرب جورج بوش الابن على العراق في ما أسماه الحرب على الإرهاب.

وفتوى إهدار دم الكاتب الهندي المغمور سلمان رشدي جعلته من أشهر أهل الأرض، وأغدقت عليه الأموال الطائلة، وجعلت الملايين يقبلون على قراءة كتابه (آيات شيطانية) وكثيرون قد تأثروا به.

ليس هذا فقط..

فقد فتحت حرب الفتاوى الطائرة الطريق أمام آلاف الأسئلة الطريفة، والساذجة، والساخرة، وساعد على ذلك انتشار الفضائيات المُفتية كالنار في الهشيم، فانهالت الأسئلة الفاضية على الفضائيات كما المطر:

- سؤال من متصلة تسأل شيخًا عن حكم قص الشعر يوم الجمعة.
- استفسار عن فتوى جلوس المرأة على الإنترنت بدون محرم.
- حكم الغش في امتحان مادة اللغة الإنجليزية - على اعتبار إنها مادة أجنبية واليعاذ بالله.
- حكم لبس التيشيرت.
- سؤال رجل عن حكم غسل اللحية أثناء الوضوء، فرد الشيخ ممازحًا: ممكن تنقعها من بالليل.

الفتوى في الإسلام شيء عظيم، وخطير، ولا يتصدى له إلا شخص مؤهل ويتحمل مسئوليتها، والنماذج السابقة إن دلت على شيء فإنها تدل على أن فوضى الفتاوى هي من دلائل انحدار وانهيار الأمم، ولعل قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ أبلغ تحذير على عظمة أمر الفتوى، والحض على مراعاة شأنها، والالتزام بضوابطها.

الفلوس والريس برايز

كلما تذكرت "الريس برايز" في فيلم ثقافي الذي اكتشفت خطيبته أنه يمتلك ألف جنيه فقط، وفسخت الخطوبة، فعاد إلى الثقافي عودٌ حميد.

وكلما تذكرت جدتي التي كانت تجزم بشدة أن عفشها كان عفش ما يجيبوش وزير، لدرجة أنه تكلف ٨ جنيه كاملة، و لم يبخل جدي على حتته الطرية، فأتى بكل عزيز وغالٍ، إيشي دولاب بجنيه ونص خشب أبنوسي ملوكي معتبر، والصالون مذهب ضخم مكون من عشرات القطع التي تمكنهم من استضافة الحي بأكمله والذي دفع فيه جدي ٢ جنيه ضاربًا بذلك مثلًا في البذخ والإسراف.

ثم أتذكر والدي الذي كان يحكي عن شبابه في الخمسينسنات قائلًا: "الحياة على أيامنا كانت غليت والواحد عشان يقول يا عفش مش هيحتاج أقل من ٥٠ جنيه".

وكان رحمه الله يلعن سنسفيل أبو الغلا الذي أصاب الحياة في مصر المكتوية بنار الغلا في أيام شبابه.

ويقول في فخر: "لكنني لم أستسلم، و لم أنهزم، وتحديت الصعاب، واستطعت بفضل الله، ثم عملي المتواصل ليلًا نهارًا، ومساعدة أسرتي أن أشتري عفش ما يجيبوش وزير كلفته ٧٥ جنيه، رغم نصائح الأهل والأصدقاء المتكرر بعدم الإسراف؛ فقد أحتاح هذه الفلوس بعدين، والاكتفاء بعفش متوسط في حدود الخمسين جنيه، لكن أبي الرجل الكريم المعطاء فكر في أن يرضي زوجته – اللي هي أمي – ويملا عينها بعفش ما جابوش شاب في الحتة، أو ما جابوش وزير على حد تعبير الناس القدام".

ثم أتذكر صديقي الذي قررت أسرته ذلك القرار التاريخي بعد ٣٢ سنة من العزوبية، والصياعة، والحياة كما "قرد قطع" في أرابيز أهله، وبعد أن أصبح على وشك اغتصاب مولة السرير، والعض في الأرض، وبعد الإصابة بحالة من الهياج المتكرر، وخوفًا منه على بنات الحتة، وعلى الصابون الذي ارتفعت أسعاره، فقد قرروا أن يزوجوه.

ولما كانت أسرته غير ميسورة الحال، ولأنهم لم يتندبوا أحد أعضاء الأسرة في دول الخليج، وبما أنَّ أمه ليست رقاصة وإنما "ست شريفة"، وأخته ليست فتاحة وإنما "بنت عفيفة"، وبما أنه هو شخصيًا محاسب وبياخد ٥٠٠ جنيه أول كل مكتب، قصدي أول كل شهر، وفي الوقت

الذي أصبح فيه ساندوتش الفول بجنيه وربع، وأصبحت الطعمياية –اللي هي طعام الغلابة – بربع جنيه القرص، وأصبحت الفرخة في الحالة النية بعشرين جنيه، وفي الحالة المشوية بتلاتين جنيه على أقل تقدير، وبما أنه لا يمتلك أي أمارة على الجواز، أو حيثيات، أو منطلق يجيب من خلاله سيرة الجواز، فقد بدأت رحلة البحث عن عروسة بزميلاته في العمل على أساس إنهم معرفة وعشرة سنين هيرضوا بقليلهم.

فكانت المفاجأة صعبة، حينما تقدم لإحدى زميلاته وابتدره أبوها بأشهر جملة تقال في مثل هذه المواقف "إحنا بنشترى راجل" تشعرك هذه الجملة بأنك تستطيع أن تأخذ عروستك بهدومها، وتمشي، وعليها بوسة من غير ما تدفع حتى حق الشاي اللي شربته، مش مهم تجيب أي حاجة، كفاية إنك راجل واحنا كنا بنفكر نشتري راجل بصراحة.

لكن عندما تعلم أن هذه الجملة هي ليست أكثر من قول مأثور توارثته الأجيال عبر الأجيال، وأنهم يقصدون بها "إحنا بنشتري راجل بشقته، ومهره، وشبكته، وعفشه، وفلوسه".

فإنه من الطبيعي أن صديقي يظن أن الزواج المناسب لشاب من ذوي الاحتياجات الرخيصة مثله، هو جواز الأهل، أهُم مننا وعلينا، ونبقى عيلة ف بعض، وما حدش شايف حاجة، وابعد عن زميلات العمل أو الأصدقاء اللي ما بيملاش عنيهم إلا التراب.

وعندما أعد العُدة، وشمَّع الفتلة، وجمع من أسرته الأب، والأم،

والإخوات، ومن العائلة العم، والخال، والخالة، وذهبوا جميعا لخطبة بنت عمته، فقد قامت عمته برقع زغرودة معتبرة، واستقبلوه خير استقبال، وأضاءت عمته الأنوار، وأناموا الأطفال الصغار، وابتدره جوز عمته بـ يابني إحنا بنشتري راجل!

بغض النظر عن القلق الذي أصابه حين سماع هذه الجملة، إلا أنه يذكر حتى الآن أنّ رد فعله تجاه طلبات جوز عمته التي فاقت طلبات أبو زميلته المتواضعة، قد أنشأ قطيعة بين أسرة عمته وباقي الأهل إلى يومنا هذا.

يقول حجا: يلعن أبو اللي اتجوزوا قبلنا وما نصحوناش، واللي اتجوزوا بعدنا وما سألوناش.. ولهذا فإن صديقي صار يعتبر أن رفض العزوبية هو نوع من البطر ورفض النعمة، صحيح الفلوس موجودة إكوام إكوام والحمد لله، والأشية معدن.

لكن يظل "الثقافي" شعارًا مهمًّا للمرحلة القادمة لهذا الجيل التعس.

بورتريه مصري حزين

التصوير جنون..

و لم يذق طعم الجنون على حقيقته، سوى من وضع الكاميرا على قفاه وسار بلا هدى استعدادًا لاختطاف ثانية من فم الزمن.

وقديمًا عرفوا التصوير الفوتوغرافي على أنه "فن إيقاف الزمن" أما أنا فوضعت تعريفي الخاص بي للتصوير على أنه "فن حب الأشياء" فقد اكتشفت أنك تلتقط صورة غاية في الروعة إذا كنت في قمة الإحساس بها.

أما تصوير وجه مصري فهو استثناء لهذه القاعدة، فتصوير "بورتريه" مصري له متاعب بلا حدود:

١- المصري هو الكائن الوحيد الذي يضحك والدموع في عينيه، ويولول والابتسامة على شفتيه (راجع فرحة الأم بزواج بنتها، وولولتها على رسوب ابنها).

٢- المصري هو البشري الوحيد الذي يتحول من قمة الحزن واللوعة إلى قمة الفرح والابتسامة، والعكس في جزء من الثانية (جرب تقول نكتة لواحد بيرقع بالصوت)

٣- المصري هو أكفأ إنسان في الضحك من البلاوي، واختراع النكتة في قلب المأساة والمصائب.

٤- المصري هو الكائن الوحيد الذي يستطيع القيام بالرخامة، والغتاتة، والتباتة، والألاطة، والرزالة.. بمزاجه، كجزء من عمله، حينما يود القيام بذلك.

٥- المصري تقريبًا فقد القدرة على الاندهاش، وهذه الصفة تحديدًا قاربت على الانقراض من الحياة المصرية، بعدما أصبحت كل الغرائب أحداثًا عادية (المصري يدفع فاتورة كهرباء فلكية مضاف إليها قيمة النظافة، في حين أنَّ الزبالة تحيط به من كل مكان).

إلا أن القدرة على الاندهاش عادة ما تعود للإنسان المصري إذا وقف أمام الكاميرا، وتبدأ بعض الأعراض الغريبة في الظهور على وجهه.

لهذا فإن القيام بتصوير وجه مصري هي عملية انتحارية، قد تفقد فيها أحد أعضاء جسمك المهمة، العقل أو المرارة مثلًا.

وسأحكي لك:

العديد من أصدقائي ما أن يروني حاملًا الكاميرا حتى تنفرج أساريرهم،

طالبين "صورة جامدة من إيديا الحلوة" ماشي.

في الظروف العادية أحتضن الكاميرا بشدة، وكأنها لسه راجعة من السفر، أغمض عينًا، وأفتح الأخرى كالأعور، وأستعد لتصوير شخص يقف متأهبًا..

أنظر في فتحة العدسة، فأجد شخصًا يعاني تقريبًا من آلام في البواسير، أو بيعمل آشعة مقطعية.

فأرفع عيني من على الكاميرا، وأبتسم في لطف طالبًا منه أن يثبت في مكانه، وأن يرينا ابتسامته الجميلة.

فيظهر على وشه شبح ابتسامة مصحوبة بقرف، فأرضى بقليلي، وأعود أدراجي خلف الكاميرا، وما أن أضع حبابي نن عيني مرة أخرى على فتحة العدسة، حتى أكتشف أن أخانا عاد للتكشيرة السوداء مرة أخرى، وكأننا يوم تلاتين في الشهر، أو كأنه واقف في طابور عيش.

ثم من التكشيرة إلى نوبة "إعوجاج رقبة" كالتي تصيب الدواجن، أو حالة "كرشة نفس" فيعطيني ذقنه، وينظر إلى السماء، وكأنني من المفترض أن أقوم بتصويره شعر ودقن.

ولى صديق تحديدًا، كلما رآني طلب مني أن أقوم بتصويره، وكلما حاولت تصويره أصابته "نوبة إمساك جامدة" فيسترخي بشدة في الكرسي فيطل كرشه بارزًا في وجه الكاميرا، وينحني إلى الخلف فيختفي

وجهه، ويرفع ركبتيه في ألاطة، وهكذا أكتشف أنني بصدد التقاط صورة سيريالية لكرش إنسان.

وهكذا، أواصل التوسل والمحايلة حتى أتمكن من اختطاف لقطة لوجه بشري عادي، مبتسم ابتسامة لطيفة خالية من الاسبهلال، والاشمئناط، والاستنكار.

ويبدو أن شركة Sony قد شعرت بما يحدث في وجوه المصريين أثناء التصوير، فاخترعت كاميرا لتصوير المبتسمين فقط.

يقف البني آدم أمامها، وبابتسامة واحدة منه ينطلق الفلاش وتُلتقط الصورة، أما إذا كان البني آدم من النوع النكدي الذي يتعامل مع الكاميرا كما يتعامل مع زوجته في الصباح الباكر، أو يمارس العبوس في وجه الكاميرا كما يمارسه في مترو الأنفاق، وطوابير العيش.. فوالله لو عمل عجين الفلاحة فإن الكاميرا ستظل مثل الحجر الأصم.

والمأساة الثانية التي يتعرض لها المصور أثناء محاولة تصوير بني آدم مصري، هي مأساة العيون.

والعيون المصرية هي الأداة الأولى للتعبير، كل أنواع التعبير يمكنك أن تراها وتستشعرها في العيون المصرية، البلاهة، الفرحة، العبط، الألاطة، الخنقة، الشك، الريبة، التوتر، الإنتظار..

تخيل جوز عيون بلدي واحد قادر على أداء كل أنواع هذه التعبيرات

لوكشة واحدة، وتخيَّل أنَّ هذا الجوز وقف أمام الكاميرا؛ لتلتقط لصاحبها صورة، من المفترض أن تسهم هذه الصورة في إظهار كينونته الإنسانية.

وما أن أستقر خلف الكاميرا حتى يبدأ "سعادة الباشا" في البربشة خوفًا من الفلاش، فأرفع رأسي من خلف الكاميرا في صبر، وابتسامة، وأطلب منه أن يثبت عينيه الحلوتين مفتوحتين، ومش مهم يبص في الكاميرا، ولكن يتصرف بتلقائية.

وما أن يسمع "الزبون" كلمة تلقائية حتى يبدأ في الاستعباط، ويبدو مصابًا بحالة "توحُّد" أو "بله مغولي" ناظرًا إلى اللاشيء في الفضاء المجهول، ومحدقًا في الفراغ الكوني، كمن يرى شبحًا غير مرئي.

فأطل برأسي من خلف الكاميرا هاتفًا باسمه، وموقظًا سيادته من حالة البرمجة العصبية التي يمر بها.

ومن البربشة إلى الاسبهلال، إلى التحديق المخيف، يظل المصور المسكين يلعب إستغماية مع الضحية، إلى أن تُلتقط الصورة في سلام، أو أن يودع المصوراتي إحدى المصحات العقلية.

وتجنبًا لمثل هذه النهاية المأساوية فقد اخترعت شركة Samsung هذا العام كاميرا تقوم بإعادة التقاط الصورة أوتوماتيكيًا، إذ ما أحست أنَّ الشخص مغلق العينين، أو يقوم "بالبربشة" وبالتالي يمكن ترك الزبون مع الكاميرا، والذهاب لتناول الغداء، وستقوم الكاميرا بالتعامل معه.

وأعتقد أنه في هذه الحالة عندما سيعود المصوراتي سيجد حاجة من اتنين: إما الزبون مصابًا بالجنان وجاهزًا للإيداع بالمصحة العقلية، وإما الكاميرا قد تكسرت إلى ٢٦٤٥٠ قطعة.

والحل الأفضل عزيزي المصوراتي الهمام، هو أن تنسى فكرة تصوير إنسان مصري نهائيًا، وعليك أن تذهب للتصوير أحد سكان القطب الشمالي.

ولهذا الكلام استثناء:

تصوير وجه أم مصرية عجوز غلبانة، فلن تحتاج لأي مجهود حتى تنضح لوحتك بهموم وشجون الوطن، بالصبر، وبالحنان، والحنو، بمرارة الفقر، وصعوبة لقمة العيش، بأمل انتظار الوليد، وحزن الفراق، وانكسار الترمل، وذل الحاجة، وعفة النفس، وكبرياء الكريم، وصمت الحرمان..

إنه بورتريه لأمي.. وأمك.

طباشيرة قرن غزال

رؤية ساخرة من واقع قتل التلاميذ في مصر

دخل المدرس فصل "تانية ابتدائي" ماسك حتة حديدة في إيده، وتطل مطواة "قرن غزال" من جراب صغير في بنطلونه، وتفحص التلاميذ في إمعان..

الفصل يغلفه صمت رهيب، والتلاميذ المذعورة تنظر في رعب،

وخطا المدرس خطوات هادئة، بين صفوف التلاميذ ثم وقف فجأة وأشار لتلميذ:

– إنت، سمِّع من أول "والخود مال طربًا من فعل هذا الرجلِ".

انطلق التلميذ في رعب مرددًا:

"وولولت وولولت ولي ولي ياويللي

فقـــلت لا تولولي وبين اللؤلؤلي

قالت له حين كذا.. انهض وجد بالنوقلي

وفتية سقونني قهوة كالعسللِ"

قاطعه المدرس:

- خلاااص اخرس

ثم نظر لتلميذ آخر قائلًا:

- إنت كمل

وقف التلميذ مفزوعًا وقال:

"يمشي على ثلاثة كمشية العرنجلي

والناس ترجم جملي في السوق بالقلقللي

والكل كعكع كعكع خلفي ومن.. ومن..آآآ.. ومن"

ثم توقف.

حملق المدرس في وجهه وعيناه يطق منهما الشرر:

- انت مش حافظ؟؟

مش حافظ يا ابن العبيطة؟؟

وضربه بالحديدة في رأسه، فشجها وانطلق الدم منها نافورة،

وقال له: اترزع.

ثم دار بعينيه في الفصل، وأشار فجأة إلى تلميذ:

- الواد ابن المستخبية اللي بيهرش هناك، سمع لي من أول "هلهتل جديل هل هايل على كتوف، أشقر هبل نفسي وهيض هواها".

قام التلميذ فجأة في رعب، وتلجلج في الكلام، ونظر إلى الأرض فاقترب منه المدرس في هدوء الموت صارخًا:

- إنت مش حافظ؟؟

طال صمت التلميذ، وهو يطأطئ رأسه..

فتحسس المدرس المطوة بيده:

- طب قول من أول "انخى خبير خاض مدخال مخلوف".

لم ينطق التلميذ،

فثارت ثورة المدرس وأخرج المطواة، وأطاح برأس التلميذ لتسقط على تختة مجاورة، ودار برأسه بين التلاميذ باحثًا عن تلميذ آخر، إلى أن توقف أمام تلميذ..

انتفض التلميذ قافزًا من شباك الفصل، لنسمع صوت جسم يتهبد في حوش المدرسة.

وهكذا استمرت حصة اللغة العربية..

إلى أن قطع الحصة صوت مدير المدرسة، يطرق على باب الفصل بفرع شجرة خشبي ضخم، وفتح الباب بقدميه، فأسرع إليه المدرس قائلًا: أهلًا ياباشا

المدير: ها، إيه الأخبار؟

قال المدرس: كله تمام ياباشا..

المدير: أنا شايف جثث، هي العيال دي ما بتاخدش دروس، قصدي ما بتذاكرش ولا إيه؟

قال الأستاذ: أيوة ياباشا، في عيال ما بتذاكرش.

المدير: هممممم طب إبقى هات لي ورقة الغياب، وورقة الجثث بعد الحصة.

الأستاذ: حاضر ياباشا.

استمرت الحصة، ووصل عدد الجثث حوالي خمستاشر من أصل ١٤٠ تلميذ في الفصل، إلى أن ضرب جرس الحصة، فانطلق التلاميذ إلى مخبأ في أرضية الفصول حتى تنتهي الغارة.

وعم المدرسة سكون رهيب.

في داخل المخبأ الأرضي تلميذ يهمس في أُذن زميله:

– باين الأستاذ مشي ياض يا وائل.

رد وائل في رعب:

– ما نضمنش، إبعت حد يبص.

في مكتب المدير..

حضرة وكيل المدرسة يقدم للمدير بيان بجثث المدرسة اليوم.

المدير يتأملها في قلق، ثم يغمغم:

– بس كدة أولياء الأمور ممكن يعملوا لنا قلق.

الوكيل: قلق ليه ياباشا؟ سعادتك بتربي أجيال. وحضرتك لو حد من أسر الجثث اشتكى بنعرف نرد عليهم يعني، وده طول عمره بيحصل.

غمغم المدير: طب هات لي بيان الاغتصاب الجنسي في المدرسة.

الوكيل يهرول، ويأتي بورقة، ويعطيها للمدير قائلًا: حضرتك في تلات حالات اغتصاب تلاميذ، وحالتين خطف أطفال بس.

يهمهم المدير: امم مش كتير يعني، طيب الحمد لله.

أستاذ برعي الحدق يدخل مكتب المدير في أدب ساحبًا وراه عيل في خمسة ابتدائي.

يقول أستاذ برعي: ممكن يابيه أروح مشوار، خمسة وأجي.

المدير: ماشي، إبقى هاتلنا ساندوتشات معاك وانت جاي..

ثم استطرد:

- إنت واخد الواد ده معاك ليه؟

- هبعته كام مشوار يابيه.

- سلام يا برعي.

ثم رجع بظهره على الكرسي في ارتياح:

وفتح جرنان اليوم متأملًا في سعادة مانشيت رئيسي يقول:

"العملية التعليمية تسير آخر حلاوة"

استرجل، واشرب سكالانس

السكالانس هو مشروب السواقين الأول، وهو خليط من الشاي الحبر المغلي والقهوة التقيلة الدوبل، وتكفي كوباية سكالانس صغيرة في الصباح الباكر، حتى تشعر بأنك تمتلك دماغًا ذرية نووية من حديد، وعينًا مفنجلة في قرص الشَّمس، وجسدًا على حر الطريق صابر، ونافوخًا على التركيز قادر، حتى لو لم تنم دقيقة واحدة طوال الليل.

وياحبذا لو كانت كوباية السكلانس مسبوقة بواحد فول بالزيت الحار، والليمون مع فحل بصل، وطبق طرشي، وبتنجان، وفلفل.. يااااه، أوعدك بأن تصبح إنسانًا أسطوريًّا، ولمدة لا تقل عن ٢٤ ساعة.

والسكالانس الأصلي هو سائل بترولي شكلًا ومضمونًا، يجمع ما بين طعامة "شربة الملح"، ولطافة "عصير الحنظل"، وخفة "المفتقة"، وحلاوة "محلول الملح"، ولذاذة طعم زيت الخروع!

ويلعب العامل النفسي في مفعول السكالانس دورًا كبيرًا، ويحتاج

السكالانس مثل ما يحتاجه الدواء تمامًا من تيقن بمفعوله، وتأكد من روعته، وإيمان بتأثيره الفعال والأكيد.

أولاد الذوات من أصحابي ينظرون إلى السكالانس على أنه مشروب (بيئة)، يتأملون كوباية السكالانس البترولية في صدمة، وشك، وريبة، ويمتعضون عندما أبدأ في التجرُّع، والرشف بصوت يشبه صوت ضفدعة على وشك الولادة، ويتأملون – في جذع – ملامحي التي تحمل أسمى آيات العذاب السكالانسي.

والسكالانس عندما يغلي على نار الحطب في الأدغال الصعيدية الجوانية، والرحلات الريفية المترامية، والرحلات المكوكية الصحراوية، فإنه يستغرق عدة ساعات للوصول لمرحلة الغليان مما يزيد كفاءة المشروب، فتشربه كمن يتعاطى البراشيم والحبوب، وترقع بالصوت وتشق الجيوب، وربما ينسيك الأهل والمحبوب.

ولقد تعرفت على السكالانس في ظروف غامضة، فالسكالانس أساسًا مشروب سواقين النقل، والنص نقل، والمسافرين على طريق الصعيد، حيث يكون السواق مُطالبًا بالسواقة لمدة ١٠ ساعات متواصلة في قلب لهب الطريق وإسفكسيا المطبات التي تحيل الدماغ بعد نص ساعة إلى ما يشبه الشُخليلة.

وحيث أنني لم أنل شرف سواقة عربية نقل، أو نص نقل، أو ربع نقل، أو أي فتفوتة نقل، وكان أقصى إنجازاتي القيادية تتلخص في سواقة العجلة

الرالي الحمراء في الفترة ما بين أولى إعدادي، وحتى أواخر ثانوي، وقيادة - ولا مؤاخذة - حمار في فترة الأربع أشهر التي عملت فيها كمهندس زراعي في مزرعة في قلب الصحراء بعد تخرجي مباشرة.

وكان عم (رمضان) يمتلك حمارًا بهيجًا، ومتألقًا، وفرحانًا بشبابه، يمشي متأنقًا باسمًا، مداعبًا أديم الأرض والحصى، مستمتعًا بأكل البرسيم اللي زي اللوز والشعير اللي أطعم من البسبوسة، إلى أن قررت أن أركبه، فأصابه ذعر لحظي، ورعب وقتي، وخوف دائم مني، واكتشفت أن قدمي تصلان إلى الأرض مساواةً برجل - لامؤاخذة - الحمار.

ولا يحتاج ركوب الدراجة، أو امتطاء صهوة الحمار إلى سكالانس، بل ربما يحتاج الحمار - في ظل هذه الظروف المنيلة- أن يشرب هو كوباية سكالانس.

لكنني أعترف الآن أنني مدمن سكالانس، أشربه كل صباح — وأنا أداعب النعاس - من إيد عم (سيد)، فتظل عيوني مفنجلة حتى الليلة التالية.

أقول لكل من يداعب النوم عيونه في الصَّباح:

استرجل، واشرب سكالانس

مصر أم البركة

الشعب المصري هو الشعب الوحيد في العالم الذي يمتلك توقيتًا يسمى "ديك النهار" ويمتلك ترتيبًا زمنيًا يسمى "عمناويل".

عندما تقلب في أوراق المصريين ستكتشف أنها بعيدة كل البعد عن التدقيق، وتميل لترك الأمور على الله، وعدم حساب الوقت بدقة، والاعتماد على الظواهر الطبيعية، والإشارات المبهمة في تحديد المكان والزمان، مع وجود آلاف من الأقوال المأثورة والأمثال التي توضح فائدة الاستعباط، والهبل، والتطنيش، وترك الأمور حسب الظروف..

وسبحان الله العظيم الذي أخرج من ضلوع المصريين رجلًا يقدم للعالم فترة زمنية تسمى "فيمتوثانية"!

وأنا كواحد من خريجي كلية الزراعة، وعملي بالزراعة لفترة بعد تخرجي، عرضني في وقتٍ ما لفهم عميق لسيكولوجية المواطن المصري،

التي تستخدم مساحات مكانية وزمانية شاسعة؛ لتحديد ووصف الوقت والمكان، في الوقت الذي يتجه العالم لاستخدام الفيمتوثانية لوصف فترة زمنية، ويستخدم الميكرون والانجستروم لوصف المسافات.

إن المصري الذي عاصر خلال حياته الثلاثين "رئيس جمهورية واحد" والذي تُطبق عليه في الألفية الثالثة قوانين إنكشارية وضعتها الحامية العثمانية، ودخل مصالح حكومية تسير بالزمن إلى الوراء، وتتحول الدقائق فيها إلى عصور وأزمنة جيولوجية، هذا المصري قد استوعب أنه لا غضاضة –يعني مش عيب ولا حرام– من تحديد ميعاد على الطريقة المصرية:

ساعة المغربية: ومعروف أن المغرب تأخذ عدة ساعات في طريقها إلى الغروب – هتصل بيك عالمغربية.

وقت العصاري: مش وقت العصر، حيث أن "العصر" ستحتم عليه فترة زمنية قليلة (حوالي ساعة فقط) مما يجعله عرضة للتأخير، بينما "العصاري" تعنى عدة ساعات، وإنت وحظك بقى – نتقابل في وسط البلد وقت العصاري.

طلعة الشمس: لإعطاء ميعاد في فترة شروق الشمس، وهي مساحة زمانية تتراوح بين ١–٢ ساعة – هعدي عليك في طلعة الشمس، نروح نركب من رمسيس.

دخلة الشتا: يعني السنة الجاية في الفترة من شهر سبتمبر، وحتى

نوفمبر، منتهى الدقة - إبقى تعالالي في دخلة الشتا، وأنا أشوف لك الموضوع ده.

قبل الدودة: وتستخدم في الأرياف لوصف الفترة التي تسبق ظهور الدودة في الحقول - عايزين نعمل فرح الواد عويس قبل الدودة.

ديك النهار: لوصف فترة زمنية ماضية وصفًا مبهمًا، بحيث لا يمكنك أبدًا أن تسأله: ديك النهار الساعة كام؟

ليس هذا فقط، بل يستخدم المواطن المصري مساحات مكانية مترامية الأطراف لوصف المكان (نتقابل في ميدان رمسيس - أشوفك في المترو -استناني على شط الترعة - عدي عليَّا في وسط البلد - هعزمك في شارع الهرم - أعدي عليك في صلاح سالم - أقابلك على شط البحر - أشوفك جنب المحيط الأطلنطي - أمر عليك في قارة أسيا - على ميعدنا بجوار كوكب المريخ.. الخ).

وكلها تفتقد الدقة، لكن مفيش حاجة بعيد على ربنا، فربما يأتي علينا الوقت الذي نرى فيه مواطنًا مصريًا يحدد الزمان والمكان كالآتي:

- أقابلك الساعة أربعة، وتلاتة وعشرين دقيقة، وخمستاشر واتنين من عشرة ثانية عصرًا، بجوار صابع خنصر إيد تمثال (طلعت حرب) اليمين.

محشي ورق جرايد

أحداث بالشطّة والليمون

الذكرى الأربعون للهبوط على سطح القمر

إنتي زي القمر..

جملة اعتدنا نحن الرجالة الفشارين إلقائها في حضرة الأنثى التي دائمًا ما تكون زي القمر، وربما في بعض نوبات الفشر والهتش تكون أحلى من القمر، وتقول للقمر بلهجة آمرة: قوم وأنا أقعد مكانك - حسب اداعاءاتنا الفشارة.

وللقمر وجهان: وجه أبيض مضيء حلو، وهو في الحقيقة ولا مضيء، ولا حاجة، وإنما يعكس آشعة الشمس، ويوصف نصبًا وزورًا بالقمر المنوَّر. ووجه مظلم، معتم، بارد، قاسٍ، لا يمكنك أن تراه إلا إذا خطفت رجلك، وركبت ميكروباص (تحرير- قمر) على أن تشاور للسائق: معاك الوجه المظلم يا اسطى.

في ليلة مقمرة من ليالي عام ١٩٦٩م، وبالتحديد في يوم ٢١ يوليو كان الباشمهندس نيل أرمسترونج يضع خلف رأسه فوطة صفراء، وينشف عرقه وهو يتطلع إلى البنزينة، بينما يقوم الأستاذ إدوين ألدرن بتطويق أبوللو ١١ بكُهنة، في حين يقوم مايكل كولينز بالجلوس خلف عربة القيادة قائلًا: استفتاحنا لبن إن شاء الله.

وهكذا كانت الرحلة الأولى إلى القمر، التي وطئت فيها أقدام البشرية سطحه لأول مرة.

وفي الحقيقة لن أدعي وجودي في تلك اللحظات، فأنا – فيما يبدو– كنت مشغولًا وقتها في شيء ما لا أذكره، لكن هذا لا يغفل مغامراتي الأسطورية على سطح القمر، التي سأحكي لكم عنها في كتاباتٍ أخرى.

لكن دعوني أتخيل وجه أرمسترونج في تلك اللحظة التي وطئت قدمه فيها سطح القمر، هل كان تفكيره منصبًّا حول العثور على عينات بحثية جيدة، أم كانت كل طموحاته في العثور على فتاة قمرية مُزَّة، ذات قوام قمري، ووجه قمري، وعيون قمرية، وأنف قمري، ولك أن تتخيَّل فتاة وقمرية في نفس ذات الوقت، وأن تسرح بخيالك إلى أن تصل إلى القمر ذات نفسه.

بالتأكيد أن حلم الحصول على فتاة على سطح القمر، هو حلم في منتهى السذاجة لأنه غالبًا ما سيتم "شقط" هذه الفتاة من قِبل شبان القمر، الذين

غالبًا ما سنبدو نحن الأرضيون بجوارهم أشبه بصوباع عجوة أسود.

بالتأكيد ليست كل تخيلاتي صحيحة لكنَّ جزءًا من الصحة هو أن الإنسان دائمًا تشغله فكرة وجود كائنات حية خارج كوكب الأرض، وكان القول القرآني القائل:﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ يحمل إشارة واضحة لوجود كائنات، أو مكونات لا نعلمها، دون تحديد هويتها، أو مكان تواجدها، مما أعطى مساحة أخرى واسعة لاحتمال وتخيُّل وجود تلك الكائنات غير الأرضية.

والفتاة التي زي القمر، هي الفتاة الأنيقة، الرشيقة، الممشوقة، الصبوح، الضحوك، الرقيقة، ذات الأنوثة الواضحة، والشفايف الباسمة، والأنف الدقيق، الدلوعة، الشخلوعة، المهياصة، فإذا توافرت كل هذه الصفات في أنثى سارع الرجل البصباص الدحلاب بإعطائها لقب: زي القمر.

وهذا الوصف في رأيي غير دقيق على الإطلاق لسببين:

أولهما: إذا كان التقييم على أساس الوصف العام، فالله عز وجل الذي خلق الإنسان والقمر قد أكد أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم في الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

ثانيهما: إذا كان التقييم على أساس الشكل، فأنا شخصيًّا أرى أنَّ وجه البدر المضيء ليلة أربعتاشر هو أجمل المكونات شكلًا، ولا يضاهيه وجه امرأة، ولا حتى وجه عُملة، اللهم إلا إذا وقعت في الحب، وفقدت مرآتي بصرها في حادث عاطفي أليم، فصارت "مراية الحب عمياء"، فأغلب

الظن أني سأنظر للقمر كل ليلة شزرًا وأقول له: اجري اقعد على جنب.

أربعون عامًا مرت على هبوط الإنسان على سطح القمر..

ونحن حتى الآن، لازلنا في شك من أمرنا، هل هبط نيل إرمسترونج على سطح القمر، أم أن العلم الأمريكي المرفرف (رغم عدم وجود هواء على سطح القمر) ينبئ أنَّ أرمسترونج قد هبط على سطح بيتهم.

أنا شخصيًا أهبط على سطح القمر كل ليلة، لا يكلفني هذا الهبوط سوى الصعود فوق سطح المنزل، مع كوباية شاي خمسينة، والاستسلام لنسمة الهواء الصيفية العليلة، أجد نفسي فوق سطح القمر.

كل يوم أهبط على سطح القمر، والهبوط على سطح القمر كل ليلة ليس فيه أدنى مشكلة، لكن متى يأتي اليوم الذي أهبط فيه على سطح الأرض.

أنفلونزا مصـــر

يا قاعدين يكفيكوا شر الواقفين..

من قديم الأزل والحيوان يحاول تجنب غتاتة الإنسان بشتى الطرق، يرفسه بقدميه الخلفيتين إذا حاول الاقتراب من الخلف، وينطحه برأسٍ من حديد، وبقرونٍ من فولاذ إذا حاول الاقتراب من الأمام، ويخربشه بأظافره، وينقره بمنقاره، ويعضه بأسنانه في محاولات مستميتة لدرء وتجنب شر بني الإنسان.

ولما كان الإنسان دائمًا مسرفًا في الرزالة، والغتاتة، والسماجة، ربط الحيوان وقيد حريته، وكمَّم فمه؛ حتى لا يتمكن من الرفس، والعض، والنطح، ثم وقف مخرجًا لسانه للحيوان الذي يكظم غيظه.

ويبدو أن ذهن الحيوان قد تفتق عن وسيلة، يمكنه معها درء شر ذلك الكائن السئيل الذي لا سبيل للخلاص منه، بعد أن وجد أن الدفاع لا يجدي، وأن الهجوم هو خير وسيلة لردع السئيل، وتكدير ذلك الكائن الغتيت.

وبدأ في تنفيذ خطته الجديدة، اختار كل حيوان لنفسه مرضًا مرعبًا:

البقر اختار الجنون، والطيور اختارت نوعًا من الأنفلونزا سُمي باسمها "أنفلونزا الطيور"، والخنازير اختارت نوعًا آخر وسُمي "أنفلونزا الخنازير"، واختارت القرود نوعًا من الجدري وسُمي "جدري القرود" وهكذا.

واجتاحت الأمراض العالم بأسره، وداهمتنا أنفلونزا الطيور ونحنُ في عز الأنتخة، فهبت الشعوب مذعورة، رافعة رايات الحرب ضد الأنفلونزا، وضد الطيور، وضد بياعين الطيور، وآكلين الطيور، ومربيين الطيور، ومعاك حتى طيور الظلام.

لكننا في مصر دائمًا لنا نظام خاص، فنحنُ لدينا حكومة إلكترونية إكتوارية عجيبة، تميزنا عن جميع دول العالم، حكومة تفكر بشيء آخر غير المخ، لكننا لا نعرفه بالتحديد.

وما لبثت أن هدأت العاصفة، وذهبنا "نكوِّع" شوية، ونستريح من أثار المعركة، حتى فاجأتنا أنفلونزا الخنازير من حيث لا ندرى، ولا نعلم.

قامت الدنيا و لم تقعد، أُعدمت الخنازير، وحرقت، وكويت بالجير، وقامت حرب طائفية كلامية، وحرب ظلامية مضادة، تحدث الأزهر، وتكلمت الكنيسة، وبررت الوزارة، واشتكى مربُو الخنازير، وولول الزبالون، ووقفت الحكومة كطفل كسر كوباية ومش عارف يعمل إيه.. ثم مع الأيام تولد عِشرة بين المصريين وبين أنفلونزا الخنازير، فالتاريخ يقول

أنَّ المصريين شعبٌ عشريٌّ بطبعه مع الجميع على السواء، سواء أكان ضيفًا، أو فيروسًا، أو محتلًا..

وذات يوم خرج علينا وزير الصحة الأسبق مستلا ميكرفونه؛ ليحذر من ظهور مرض الأنفلونزا في النباتات والحمير على غرار فيروسات أنفلونزا الطيور والخنازير..

ويهب بياعين الخضار في فزع، ويتنبه المواطنون وهم يرتعدون، وبعدها يكذب الوزير السابق ما نقلته الجريدة على لسانه، وذلك في الحياة اليوم قائلًا أن "من نقل الكلام نقله بدون فهم، فالحديث كان في إحدى الندوات، كنت أتحدث بشكل علمي أن كل الكائنات الحية تصاب بمرض الأنفلونزا، وذكرت أمثلة كان منها الحمير والنباتات، وهذا كلام علمي بالفعل أن كل الكائنات الحية تصاب بفيروس الأنفلونزا".

وبغض النظر عن صحة الخبر من عدمه، فإن الحديث عن الفيروسات هو حديث مُرعب، حيث أن الفيروس كائن ذو طبيعة متفردة، يتميز ببعض صفات الأحياء، والكثير من صفات الجماد، يتغير، ويتحور، وتتبدل صفاته، ولكن ما دعانا إلى الاطمئنان خلال أزمنة طويلة، هو أنَّ عوائله لا تتغير إلى حد بعيد.

فالفيروسات التي تصيب الخلايا الحيوانية لا يمكن أن تصيب الخلايا النباتية، والفيروسات التي تصيب خلايا الجهاز التنفسي لا يمكن أن تصيب خلايا الكبد، وذلك يرجع للتركيب الكيماوي المتفرد للمستقبلات التي

تتيح للفيروس الارتباط بخلية مسكينة دون غيرها.

وبالتالي يصبح فيروس البطاطس كائنًا أليفًا أمام الإنسان، كما أنك إن قمت بالعطس أمام شجرة توت، فلا تخشى على التوت من العدوى مما تحمله من أنفلونزا بشرية.

لكن هذه الخاصية رغم أنها تقلل من عدد الفيروسات التي قد تصيب الإنسان إلا أنك قد تصاب بالرعب عندما تعلم أن ٥ آلاف نوع من الفيروسات التي تصيب الكائنات الحية قد تم وصفها بدقة، بالإضافة لعدد لا يعلمه إلا الله لا نعرف عنه شيئًا، أو لا نستطيع وصفه، وتحديد كوارثه.

كما أننا نعلم جميعًا أن هناك أشخاصًا يجلسون الآن في معاملهم ومختبراتهم، في أماكن لا نعلم عنها شيئًا، يتباحثون، ويخططون، ويختبرون، ثم ينتجون أنماطًا جديدة من الفيروسات فيما نعرفه نحن بـ"الفيروسات المخلـقة".

إن التلاعب في المادة الوراثية التي يمتلكها الفيروس يعني تغير التركيب الكيميائي له، وتغير خصائصه، ويعني كارثة محققة للإنسانية، ولعل الروايات التي قيلت عن فيروس الإيدز أكبر الدلائل على ذلك.

فيرس الإيدز اختراع أمريكي..!

لدرجة أن الدكتور الأمريكي "بويد إي جريفس" تقدم عام ٢٠٠١ بقضية أمام المحكمة العليا الأمريكية؛ يطالب فيها باعتذار الولايات المتحدة لكل ضحايا الإيدز في العالم.

وأعلن "بويد" أن الدكتور "روبرت جالو" الباحث بالمشروع الأمريكي لتنمية الفيروس قد تقدم للحصول على براءة اختراع أمريكية عام ١٩٨٤، وذلك لاختراعه فيروس الـ " إتش أي في" المعروف بالإيدز.

إذن، قد نستيقظ من النوم صباحًا، فنقرأ في الصحف عن أول حالة إصابة بشرية بفيروس البطاطس؛ وذلك لتناوله ساندوتش بطاطس صوابع من عند مطعم البرنس!

أو نقرأ عن إصابة بشري بفيروس موزيك القصب؛ وذلك لشربه كوباية عصير قصب من عند أولاد ناصر.

أو إصابة شاب بمرض "تورد القمح الشتوي"؛ وذلك لوقوفه بطابور عيش بلدي.

لم أمنع نفسي من إطلاق العنان لخيالي عما سيحدث لو انتقلت الفيروسات النباتية للبشر..

تخيلت ذلك الشاب الرومانسي وهو يمعن التأمل في عيون حبيبته، ثم يخرج بوكيه ورد أحمر ويمد يده في هيام قائلًا:

- فكرت أهدي مولاتي هدية، مالقيتش غير الورد يليق بنور خدودك وروعة عيونك..

فتقوم المحبوبة في جذع، وتندلق كوباية العصير من يدها، وتصرخ في رعب وهي تخرج منديل تضعه على فمها وهي تقول:

- إنت مجنون؟ ارمي الزفت ده بعيد، ورد إيه؟ إنت ما بتسمعش تنبيهات التليفزيون عن خطورة شم الورد؟

ثم يأتي الربيع، وتنتشر التحذيرات من أكل البصل الأخضر مع الفسيخ؛ تجنبًا لمرض "سعال البصل الأخضر"، وتطالب الجهات المعنية المواطنين بأكل الفسيخ بدون البصل الأخضر، ثم يموت المواطنون من أكل الفسيخ، فيتم النصح بعدم أكل الأسماك، والاتجاه لأكل الجبنة مع العيش فقط، ثم ينتشر مرض "تبرقش القمح" بين البشر، فينصح بعدم أكل العيش..

الجسدولوجي Bodyology

بعد إصدار مجلة متخصصة في الجسد؛ يجب علينا أن نؤمن إيمانًا تامًا بأن الجسد هو علم.. وفن.. وهندسة، وإن الجسد هو أدب مش هز كتاف..

جسد.. مجلة ثقافية فصلية، أولى من نوعها في العالم العربي، متخصصة في آداب الجسد، وعلومه، وفنونه، تأسست عام ٢٠٠٨ وصدر عددها الأول في لبنان في شهر كانون الأول/ديسمبر من السنة نفسها.. هكذا تعرف المجلة نفسها.

وحيث إن الجسد طلع له مجلة، زي ما بيطلع له دمل كدة، فمن موقعي هذا من أمام صينية بطاطس باللحمة الضاني، أقترح تأسيس علم للجسد، يسمى "الجسدولوجي" وأكون أنا مؤسس هذا العلم النميس.

تعريف علم الجسدولوجي:

هو العلم الذي يختص بدراسة الجسد من حيث الشكل، مثل طول

الودان، وحجم المناخير، ونصف قطر الكرش، بالإضافة إلى دراسة وظائف الأعضاء مثل التحرش، والبصبصة، ودراسة فنون الإثارة بالجسد فيما إصطلح عليه في شارع الهرم باسم الإغراء، واصطلح عليه شعبيًّا باسم "المرقعة"..

وينقسم هذا العلم الجديد إلى عدة فروع:

المناخيرولوجي، أو علم المناخير Nosology

وهو العلم الذي يقوم بدراسة المناخير، وأصواتها، وإفرازاتها، ومناديلها.. كما يوضح كيفية "النف" و"السح" على أسس علمية، ويتناول طرق دس المناخير فيما لا يعينيك، ودراسة أسباب طول مناخير بونوكيو.

الودانولوجي أو علم الودان Wedanology

هو العلم الذي يختص بطرطقة الودان، وتلميع الأوكر، وتسليك الطبلة، كما يهتم بدراسة الحلقان (جمع حلق) وفن خرم الودان لتركيب الحلق.. كما يهتم بالدراسة التشريحية المقارنة لفهم العلاقة بين الصرصور والودان.

كما يهتم بدراسة أنواع الودان المختلفة، ومن أنواعها:

١- الودن الطين: وهي ودن تسمح بدخول الكلام دون الخروج.

٢- الودن العجين: وهي ودن تسمح بخروج الكلام دون الدخول.

ويعتبر النوعان مكملين لبعضهما، ولا يمكن شراء فردة ودان واحدة، ولكن يباع جوز الودان معًا في كيس واحد (ودن من طين، وودن من عجين)

كما يهتم هذا الفرع بشدة بالحيطان، وتجري أبحاث عالمية للبحث عن ودانها المزعومة، ودراسة الحقيقة العلمية التي تقول (الحيطان لها ودان)

ويحكى أن واحد رخم خالته جابت ولد بس من غير ودان.. فقالت له أمه روح بارك لخالتك.. بس بلاش رخامة، إياك تجيبلها سيرة إن ابنها من غير ودان؛ علشان ماتجرحش مشاعرها، وتقلب عليها المواجع.

قال: ماشي.

راح الرخم، وسلم على خالته وبارك لها، وقالها: يا خالتي، أهم حاجة تأكليه جزر كتير علشان بيقوي النظر، علشان نظره ما يضعفش.

بصت له خالته باستغراب، وقالت له: دة لسة بيرضع، وعلى العموم لو نظره ضعف هنلبسه نضارة.. قالها: طب فيه مشكلة.. هيعلقها فين..؟

ومن هنا تتضح فائدة الودان: تعليق النظارة، العِمَّة، استخدامها في قرص التلاميذ، وتمليص ودانهم.. إلخ.

العيونولوجي أو علم العيون Eyeology

هو العلم الذي يختص بدراسة "تمقيق" العين، والبصبصة، وأنواع العيون، ومنها: العيون التي تندب فيها رصاصة، والعيون الجريئة، والعيون

الكواحل، والعيون القاسية.. بالاضافة للرموش الدباحة، والجفون النعسانة، والرموش الجارحة .. وهذا النوع دائمًا ما يكون غير مرخص.

وقد تم إصدار العديد من المجلات التي تهتم بهذا العلم، ومنها مجلة "بحلقة"..!

كما يهتم بالدراسة التشريحية المقارنة لفهم العلاقة بين الحنطور والعين.

البوْولوجي أو علم البوْ Bo2ology

وهو العلم الذي يختص بدراسة البوْ، أو الفم بما يتضمن الرغي، والثرثرة، واللت، والعجن، واللف، والدوران، والكدب.. كما ينبثق منه عدة علوم فرعية منها علم البوسولوجي Kissology وهو علم دراسة البوس، وأنواعه، وما يترتب عليها من أنفلونزا الطيور والخنازير، بالإضافة إلى "عريس يا أماي" ثم مأذون.

في لبنان، عملوا مجلة للجسد.. وقديمًا قالوا:

يهونُ عذابُ الجسم والروحُ سالمٌ فكيفَ وروحُ المستهام جروحُ

وعندنا، يهون عذاب الرَوح والجسم سالمٌ، وأحيانًا؛ يهون عذابَ الروح والجسم، عندما نقف في طابور العيش.

سيارة بدون رئيس

متهم في تنظيم الزيتون، اعترف بتصنيع سيارات بدون سائق، بينما لم تنجح مصر خلال ٧٠٠٠ سنة في تصنيع سيارة بسائق أو بدون، أو حتى سائق بدون سيارة بس بيعرف يسوق كويس..

والأدهى أن المتهم اعترف بأنهم كانوا على وشك إنتاج طيارة بدون طيار، وتصنيع مواد نووية، والشروع فى إنتاج قنبلة ذرية.. لذا فأنا أقترح أن يقود هذا الإرهابى مسيرة مصر خلال السنوات القادمة، على أن يذهب الوزراء إلى جوانتانامو، أو سجن القلعة..

فإذا كانت جماعة إرهابية صغيرة، مقرها شقة إيجار جديد، بجوار بتاع عصير القصب، قد نجحت فى ما لم تنجح فيه الست الوالدة مصر، فعلى الدنيا السلام، ومنشية ناصر، والدويقة، ورمسيس..

وحيث أن محاولة تصنيع القنبلة النووية تمت في الزيتون، فعلى الأخوة في إمبابة، وبولاق الدكرور، وشارع قدري، وحسنين دسوقي، والسيدة

عائشة، وبين السرايات، والكيت كات، والوراق، والبساتين، والأباجية، وناهيا.. سرعة التحرك لبناء قاعدة صواريخ، وإنشاء محطة تجسس فضائية، وجسر إلكتروني نووي سري مشفر..

وربما تسمع مستقبلًا عن تنظيم أرض اللوا، ويعترف قائد التنظيم بمحاولة الهبوط على سطح المريخ؛ لضرب المهندسين، وشارع السودان، وشهاب، ومحي الدين أبو العز، والمناطق المجاورة.

أو تسمع عن كتائب عبد المنعم رياض، أوميشيليات حسانين دسوقي، أو قوات حرس ثكنات المعادي الثورية، بما تضمه من أسلحة عادية مثل صواريخ عابرة القارات، وأقمار صناعية، وشبكات تجسس فضائية، ومقاتلات ليزرية، والحاجات العادية دي، المتواجدة في أي منطقة شعبية دلوقت.

وحيث أن المصريين يهتفون للرئيس "العلاوة ياريس"، ويهتفون للسائق "على جنب يا ريس" فيمكن وضع رئيس للسيارة، واعتبارها سيارة بدون سائق، ووضع سائق للبلد، واعتبارها ميكروبااظ .

وعليك يا عم المواطن الحلو، إذا رأيت سيارة بدون سائق فحاول أن توّسع لها، وتركن على جنب..

أسمع مواطنًا خبيثًا يقول: ما هي السيارة من غير سائق بقالها تلاتين سنة.

أقوله: لأ.. السيارة بسائق، بس هو ف مشوار وجاي.

السياسة مُهلِكة

ألبوم سياسي ورا الشمس

كلام خادش للحياء العربى

في الوقت الذي التف فيه زعماء الدول العربية حول مائدة كبيرة مستديرة، تحوي المئات من الصحون الضخمة المغطاة لبدء المحادثات.. كان القاتل يدخل "دبي" لقتل سوزان تميم.. وكان الأخوة في "فتح" و"حماس" قد اتفقا على الاختلاف.. واستل كل منهما سلاحه في وجه الآخر.. وكان "منتظر الزيدي" يشعر ببرودة البلاط في القاعة الصحفية بعد أن خلع حذائيه؛ استعدادًا لإلقائهما في وجه جورج بوش.

وكان المدرس يضرب تلميذ إسكندرية بالشلوت في محاشمه فيرديه قتيلًا، بينما كان هناك ١٠٠٠ مواطن مصري يقاومون الذوبان في بطون أسماك البحر الأحمر، كان صاحب العبَّارة يحتسي العصير مع فتاة شقراء في بهو أكبر فنادق أوروبا، وكانت أم عبير تلفظ أنفاسها الأخيرة في طابور العيش، وحزب الوفد يحترق، وحزب الغد يشتعل.

وكان المواطن المصري "إبراهيم" يداعب نهدىَ عشيقتهِ "ريهام"

استعدادًا لمضاجعتها في شقته بالدويقة.. وكانت "أم أحمد" التي تسكن في المنزل المجاور لـ "إبراهيم" تستحث ماكينة الخياطة لإنهاء مريلة المدرسة بتاعة "مريم" بنتها الصغيرة.

وسُمعت طقطقة وحشرجة تصدر من حنجرة الجبل الذي انهار بعد دقائق وتحول "إبراهيم" و "ريهام" و "أم أحمد" و "مريم" إلى إشلاء دموية خرساء.

واختلطت حلة البامية التي كانت قد طبختها لتوها "نبوية الدلالة" مع كوباية البيرة التي صبَّها "إبراهيم" منذ دقائق.

وطار خبر انهيار الجبل إلى الرجل الكبير الذي كان يجلس مع تجار الحديد، فتنفس الصعداء، وتحدث في الموبايل لعدة دقائق، ثم أكمل لقاءه بتجار الحديد؛ لرفع سعر حديد التسليح بالاتفاق مع صديقه صاحب أكبر شركة مقاولات؛ ليقوم برفع سعر المباني، فقام أصحاب العمارات برفع أسعار الشقق الإيجار والتمليك، وقام تجار وصنَّاع الذهب برفع سعر الذهب والمصنعية، واستجاب أصحاب مصانع البلاستيك، والنجارين، وتجَّار الأثاث، ورفعوا أسعار الموبيليا، الأمر الذي استفز أصحاب القنوات الفضائية، فأكثروا من الإعلانات عن أثاث فاخر مستورد، وأساور ذهبية خليجية مرصَّعة بالماس.

فقالت "ولاء" لأمها بحسرة: لا بلاش يا ماما، العريس ده مش هيقدر يجيب لي شبكة زي دي.

وكان "صلاح" العريس يحاول أن ينهي أعمال الحسابات في ورشة الرخام التي يعمل بها؛ حتى يتسنى له المرواح بدري في التاسعة مساءً، ولا يمتد به الأمر حتى الثانية عشر زي كل يوم، وكان الأمل يراوده أن يعود مبكرًا، فيستطيع أن يتصل بـ "ولاء" من سنترال في أول الشارع، لكن جاء صاحب العمل، وطلب منه أن يشارك في تحميل نقلة رخام مع العمال، ولما اعترض طرده صاحب العمل من الورشة.

ومر "أوباما" من ميدان السيدة عائشة ذاهبًا إلى جامعة القاهرة؛ ليلقي خطابه، وكان "ساركوزيه" يقبِّـل صديقته الفرنسية أمام معبد فيلة، ويناكحها، وخلفه الجنود المصريين؛ لحمايته، وكان من ضمن الجنود "صميدة" الذي وقف أبوه في طابور المعاشات في المنيا، يستمع إلى موظف المعاشات وهو يقول: "إنت يا كلب منك ليها له، اللي هيفتح بوْه بكلمة هديلُه بالجزمة اللي في رجلي، ومش هقبـَّضه، ويغور من هنا" ولكن "أبو صميدة" كان سارحًا في الأفق البعيد يتذكر ابنه "عرفة" الذي سافر إلى العراق منذ زمنٍ بعيد، ولم يعلم عنه شيئًا، وماتت "أم صميدة" كمدًا بعد أن اهترأ كبدها، وتمزق حزنًا عليه.

وكان "عرفة" في نفس اللحظة، يجلس مقطوع الأصابع والأرجل في زنزانة في وسط جزيرة نائية في المحيط الأطلسي، يتذكر رحلته من صعيد مصر إلى العراق، إلى جوانتانامو، ويسمع من آنٍ لآخر صوت مياه البحر الذي يتشابه مع صوت مياه النيل، وهي ترتطم بالسور القصير الذي يفصل النيل عن حديقة الأندلس، التي يجلس فيها "أحمد" الآن متذكرًا

أيام حبه المفقود، ويستمع إلى صوت عبد الوهاب، يردد كلمات علي محمود طه "آه لو كنت معي نختال عبره، بشراع تسبح الأنجم إثره."

وفي تلك الأثناء، كانت تنفذ عقوبة الجلد على الطبيب المصري، وتنهال الكرابيج على ظهره، فتصدر صوت طرقعة تشبه طرقعة الكيبورد التي يضرب عليها "موافي" داخل مبنى الجريدة، وهو يكتب تقريرًا يمدح فيه الرئيس ويهنئه بعيد ميلاده، ويدعو له بطول البقاء، ويسبُّ المعارضة الظالمة، والجرائد المستقلة الجامحة، وسلَّم التقرير إلى رئيس التحرير الذي قد أتى لتوه من سهرة حمراء قضاها مع راقصة مشهورة، فنظر فيه رئيس التحرير ومدح "موافي" ثم مدح الرئيس، ثم بعد دقائق كان كل مواطن مصري يمتلك نسخة مليئة بالزيت من التقرير، وبداخلها بـ "نص جنيه طعمية" لكن "نورهان" وحدها كانت لا تأكل الطعمية، ولا تفطر إلا بخيارة، وقطعة خبز، كما أوصى الطبيب الذي قال لأمها أنَّ "نورهان" في أيامها الأخيرة، وأنَّ السرطان يأكل في جسمها ثم الفشل الكلوي أهلك جسدها النحيل نتيجة لشربها ماءً ملوثًا بالمبيدات، والعناصر الثقيلة التي يلقيها مصنع الكيماويات القائم في الضفة المواجهة لقريتهم من النيل، كل صباح.

وفي اللحظة التي التقت يد شيخ الأزهر تصافح شيمون بيريز، انطلقت مئات الجرافات الإسرائيلية في المشيرفة، وأم فحم، وكفر قرع، والروحة، ودار حنون، وخان يونس، ونحالين، وبيت لحم، فهدمت مئات البيوت، وجرفت الزراعة، واقتلعت الأشجار، وفرمت آلاف الأطفال والكبار

تحت عجلاتها وجنازيرها، وكان الطبيب اليهودي في "أبو غُريب" يزيل كلية السجناء العراقيين برفق، ويضعها في إناء خاص لنقلها إلى تل أبيب، بينما كان ٣٧٣ مصري يحترقون في داخل عربات قطار الصعيد، ومن ألقى بنفسه في شباك القطار لقي مصرعه غرقًا في ترعة الإبراهيمية.

لكن الشمس قد انتصفت في السماء، حينما استيقظ وزير خارجية إحدى البلاد العربية، وفتح التفاز واستمع إلى مذيع قناة الجزيرة، وهو يعلن عن عدد قتلى المجزرة الجديدة، ثم أطفأه وذهب ليعلن أنَّ المعابر مفتوحة، وأنَّ كل شيء على ما يرام، في الوقت الذي كانت الراقصة العربية المشهورة في إحدى شقق الدعارة بشارع جامعة الدول العربية، تتفنن في هز خصرها العاري، ونهديها واتفقت الشلة متعددة الجنسيات العربية، الواقفة حولها في التصفيق والهتاف لرقصها الرائع البديع.

كانت هذه الأحداث في الفترة من بعد طرد "صلاح" من عمله إلى انتهاء اللقطة الأخيرة من فيلم سكس عربي مثير، كان "صلاح" يشاهد أحداثه في القنوات الفضائية، وكان "البطل" فيه يضاجع عدة "بطلات"، ثم ينهض من سريره؛ ليشجب ما يحدث في فلسطين.

ثورة الـ ٢٠ من محسن

تقوم الثورات في بلاد الدنيا كلها لتطهير النظام من الاحتلال، وتحسين لقمة العيش، وتطبيق الديمقراطية، وتحسين الإنتاج، وعودة الحق للمواطن. وفي مصر تقوم الثورة كما يقوم قطار الصعيد من سوهاج فلا يصل للقاهرة.

يحكمنا في مصر عبر التاريخ مصريون، وعرب، وأتراك، وإنجليز، وفرنسيون، والجميع لم نخترهم، وجميعهم حكمونا من الخارج: إما من خارج مصر، أو من خارج الشارع المصري، وقريبًا سنجد من يحكمنا بالموبايل.

وفي مصر يبدأ الحوار السياسي بـ (اللي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفوش) وينتهي بـ (اللي يتجوز أمي أقوله يا عمي، أو يا ريس) ويحكمنا بشر حطوا على رؤوسنا كما المصائب، فنرفع لهم شعار (إن لقيت بلد بتعبد عجل، حش واديله).

والدنيا عِبَر، والحياة تجارب، ولقد غيرتنا الأحداث الجسام، فصار قفانا عريضًا قابلً للمصافحة من أي رئيس، وأي حاكم، وأي محتل، ويضحك علينا نابليون، ويستعبطنا لورانس، ويستكردنا أوباما، وفي كل مرة يزداد القفا تفلطحًا وتسلطحًا، وعشقًا للمصافحة.

قال فرعون لشعبه (أنا ربكم الأعلى) وقد سقع الشعب للكلام، وقال عبد الناصر لشعبه (لقد خلقت فيكم العزة) و لم يغضب الشعب وهتف وهاص، ولأن الله قد خلقنا أحرارًا لذا فإننا نبيع الحرية على أرصفة الحاكم أبو ميكروفون، وذي الصوت الأعلى، وذي الكاريزما الحلزونية، ويستهوينا الكلام المعسول، والشعارات الرنانة.

وكل سنة في الثالث والعشرين من يوليو يحتفل المصريون بعيد ثورة يوليو، كل عام وأنتم تنعمون بالعدالة الاجتماعية السليمة والمفعصة.

كل عام وأنتم تنعمون بالقضاء على وحش الإقطاع، وتجلسون في حجر الفساد، وتهنأون بالقضاء على الاستعمار الخارجي، وتتربعون في ظل الاستعمار الداخلي، وتفرحون بالقضاء على سيطرة رأس المال، وتخترقون تحت تحكمه، وسطوته، واستبداده، وسرقته، ونهبه، وظلمه، واحتكاره.

قامت الثورة، وطردت الملك "الكخة"، وأتت بالرئيس الحلو الجميل أبو شامة على جبينه، ومتعتنا الثورة كما لم يمتّعنا فيلم عربي أو هندي، وظبطتنا الثورة تظبيطًا، وثبّتتنا تثبيتًا، وأجلستنا منتعشين فوق السحاب،

وعشنا أزهى عصور الديمقراطية في المنام، ولو لم تصدقني فامسح "بوك" الملغوص بالديمقراطية.

نعم، رفعت الثورة شعار إقامة حياة ديمقراطية سليمة، وقام الرؤساء بعد ذلك بتنفيذ الشعار على حسب فهم كل منهم له، فمنهم من "نفخ" الشعب، ومنهم من "تحاور" مع الشعب، ومنهم من "نفـض" للشعب.

ونحن بين "النفخ"، و"التحاور"، و"التنفيض"، نعيش كما البهلوان على الحبل، أو كالبرص على الحائط، أو كاللباية في قلب البطيخة المظلم.

كانت صورة الرئيس يعانق المواطن الفقير الكحيان هي شعار الثورة، ثم صارت صورة المواطن الكحيان هي شعار الوطن على مدار أزمنة جيولوجية طويلة، حيث ظل الرئيس رئيسًا، وظل المواطن كحيانًا.

ولقد نقلتنا الثورة من عصر الحر ملك إلى عصر تبادل الزوجات، ومن عصر القطن طويل التيلة، إلى عصر رئيس الوزراء طويل التيلة وبدون قطن، ونقلتنا من عصر فساد الملك و"صلاح" الشعب إلى عصر فساد الرئيس و"صلاح" نصر، ومن عصر كان فيه الوطن "عامر" بالتغيرات السياسية إلى وطن عبد الحكيم "عامر"، وشعراوي جمعة، وشمس بدران، وزكي بدر، وكمال الشاذلي، وأحمد عز، وممدوح إسماعيل.

وفي الثورة أممنا القناة وهتفنا..

فجمدت بريطانيا أرصدتنا من العملة الصعبة ١١٢ مليون جنيه

إسترليني هي الحساب الجاري لمصر، وجمدت فرنسا، وجمدت أمريكا، وفُرضت الحماية على ممتلكات شركة القناة في لندن، ومرت سفنهم في القناة بدون رسوم، ولو مُهلنا في التأميم لعادت القناة لوحدها إلى ملكية مصر عام ١٩٦٨، وهو تاريخ انتهاء امتياز القناة، لكننا شعب يحب الهتاف، وحكام تعشق تأميم القناة، وتعميم الشعب بالعمة.

واخترع عبد الناصر مجانية التعليم، فصار كل مواطن ياخد تعليم مجانًا مع كل بجنيه جبنة، فتخرج دكتور يشيلك الزايدة؛ لأنك مصاب بزغللة في عينك، ويستأصل الكلية؛ لأن صوباعك مدوحس، ثم يشارك في حب مصر عن طريق بيع كليتك بالدولار والدينار.

وكما يطلع للبني آدم دمل، فقد طلع لمصر ثورة أخرى في اليمن، فدخلنا مع الملكية في حرب، ضاع فيها آلاف الشباب المصري (الذي لا يمتلك أكونت على الفيسبوك) أنا وأخويا على ابن عمي وأنا وابن عمي على الشعب المصري.

في بلادنا العربية يمتلك الرئيس (مُحسن) ثورة، ويقول عليها ثورتي، ويمتلك شعبًا، ويقول عليه شعبي، ويمتلك جيشًا وينادي عليه: "يا جيشي"، وعندما تضيع البلد من يد الحاكم، فإنه يبحث عنها تحت الكنبة مناديًا: "يا ترى إنتي فين يا بلدي..".

صديقي العزيز، تنسم هواء الحرية، على كورنيش النيل ساعة عصاري، وارفع رأسك يا أخي، بس مش أوي لتخبط في سقف الديمقراطية.

تابوهـات

حاجات بلاش نتكلم فيها

خيانة مفقوسة

(الخيانة على الطريقة الحديثة)

يخرج الرجل من بيته متبخترًا، متمخطرًا، منشكحًا ذاهبًا إلى العمل، ثم يكتشف أنه قد نسى النظارة، فيعود للخلف در إلى المنزل في غير ميعاده، ليجد أن زوجته نائمة في حضن جارهم الأستاذ عبد السميع المحامي.

وتمر الزوجة، وهي عائدة من العمل على جارتها (نبوية) الدلالة لشراء ملابس، ودفع القسط، فتشقط زوجها في حضن الدلالة يمارس الحب، والأحضان، والجنس.

هكذا كانت الخيانة في العصور السابقة.

كما رأينا في الأفلام، وقرأنا في كتب الخيانة النموذجية، وكما كان القدماء مقضينها، ويتم فقسهم بهذه الطريقة الكلاسيكية الساذجة.

أما في الألفية الثالثة، فقد تفتق ذهن الشيطان عن كتالوج خيانة في

قمة الإبداع، وتطورت طرق الخيانة، كما تطورت جدًّا طرق "فقس" هذه الخيانة.

إننا في عصر الأعاجيب، والتطور، والاكتشافات الرهيبة، وكان حتمًا ولابد أن استحداث طرق للخيانة بطريقة حلزونية جنونية جديدة، وبما أنَّ الحاجة أُم الاختراع (أو خالته) فقد تطورت تلقائيًّا طرق كشف الكذب.

فهذا الرجل المصري الغلبان المصدوم (عم رمضان) الذي تداولت سيرته كافة وسائل الإعلام المحلية والعالمية، وصارت سيرته على كل ورقة وموقع، تزوج منذ ١٦ سنة، أنجب خلالهم أربع عيال بكل كفاءة، واليوم وبعد عمر ٥٠ سنة جلس في قاعدة حظ مع رفاق سوء، فأقنعوه أنَّ مشاهدة الأفلام الأبيحة يجدد الدم في الجسم، واقتنع.

عاد عم رمضان إلى المنزل، فوجده خاليًا فقال في سره: قشطة، وفتح جهاز الكمبيوتر الذي كان قد اشتراه للعيال، وفتح الإنترنت، ودخل ليعمل Download لأحد أمهات الأفلام العظيمة في تاريخ السكس الشعبي بشهادة المواقع والمنتديات.

وبدأ المشاهدة،

ويالا هول ما رأى!!

رأى زوجته، بطلة للفيلم، الذي يبدو أنه قد تم تصويره تحت بير السلم، أو فوق السطوح في عشة الفراخ، أو في شقة ككل شقق الأحياء الشعبية التي ترزح تحت نير العشوائية.

وبعد أن قامت الدنيا و لم تقعد، وحدثت المعارك، والخناقات، وتدخلت العائلات، قام الطب الشرعي بعمل تحليل سائل منوي لعم رمضان، فاتضح عدم قدرته على الإنجاب أساسًا، وعملوا تحليل DNA فتأكدوا من عدم صلة العيال بعم رمضان المسكين.

هذا نموذج للخيانة المفقوسة في المجتمع المصري الغلبان.

المصيبة الكبرى، زوجة أمريكية دلوعة وروشة، اسمها مايا، وعمرها ٢٠ سنة، أنجبت طفلين توأم، بفارق سبع دقائق بين كل منهما، هذين التوأم من أبين مختلفين!

كانت الباشمهندسة مايا تخون جوزها مع حبيبها، ونامت مايا مع زوجها، ونامت مع عشيقها، وأنجبت طفلين توأم بمعدل طفل لكل منهما.

وقال الأطباء الأمريكيون، وهم في حالة من الذهول اللّاكينوني أنّ بوضيتين جرى تخصيبهما في رحم آلام كل على حدا، حيث تمّ تلقيح كل واحدة منهما من قبل رجل مختلف بفارق زمني ضئيل جدًّا، يحدث – حسب قول الأطباء المذهولين – مرة كل مليون مرة.

تفتكر مثلًا، ممكن في السنوات المقبلة نسمع عن جهاز كشف الخيانة، ويتم تمرير وحدة آشعة على جسد الزوج أو الزوجة، فتذمر، وتنور، إذا كان هذا الجسد قد حضن، وباس جسدًا آخر غير الجسد المسجل لديه.

غشاء بكارة صيني

الموضوع شائك وحرج، لكن المثل يقول "اللي يتكسف من بنت عمه ما يجبش منها غشاء" إنما تستطيع قريبًا أن تحصل على غشاء من الصيدلية وبتلاتة وتمانين جنيه بس.

بعد الإعلان عن قرب توفر غشاء بكارة صناعي لأول مرة في مصر، أصبح من الممكن لأي مواطن عادي أن يشتري غشاء أنثوي من إنتاج الصين غير شامل التركيب والضمان.

وبعدما أنتجت الصين لوازم أنثوية خارجية، رموش، وعدسات عيون، وشعر، وسيليكون.. أصرت العبقرية الصينية على المساهمة في الدواخل، وربما تحل الصين مشكلة رجال كثيرين قريبًا، وبهذا نضمن أن يتحسن النسل، ويولد طفل كل فيمتوثانية.

دكاترة الممنوع زعلانين، ووجدوا أن الصين الشعبية تحاربهم في لقمة عيشهم الحرام، ومحتمل أن نسمع قريبًا عن إضراب دكاترة الترقيع أمام

نقابة الأطباء؛ يطالبون فيه تشجيع الصناعة المصرية، ورفع الضرائب على المستورد.

كما أن مظاهرات عارمة ستجتاح شوارع جامعة الدول العربية، والهرم، والعريش؛ لمطالبة الحكومة بدعم المنتج، على أساس أنه سلعة أساسية مثله مثل الزيت، والسكر، والسمن، ومطالبة وزارة الشؤون الاجتماعية بإضافة الغشاء على التموين، وربما تجد أسرتين بيتكلموا في جواز، ومهر، وشبكة، وعفش، ثم يسأل سائل: والغشاء على مين؟

وبما أن الشارع المصري أصبح الآن شارع فتاوى، فتوقع يا عزيزي المواطن الغلبان، أن تنهال عليك فتاوى من كل نوع ولون: فتاوى دينية تجرم، وفتاوى تبيح بشروط، وفتاوى تبيح بدون قيد، بالإضافة إلى فتاوى دغيدية (من إيناس الدغيدي) تذم في المجتمع المتخلف الذي يرفض الترقيع على الطريقة الصينية.

في الصين انتشرت إعلانات الغشاء في الشوارع على غرار:

- استعيدي عذريتك في خمس دقائق.
- المنتج التكنولوجي الراقي.
- سرك المفزع يختفي للأبد، استعيدي عذريتك بخمسة عشر دولار.

– بلا جراحة، أو حقن، أو أدوية، ولا آثار جانبية بخمسة عشر دولار فقط.

أما في القاهرة، فأعتقد أن أخلاقنا لن تسمح لنا بمثل هذه الإعلانات الوقحة، ولكن قد تفتح التليفزيون فتفاجأ بصوت (طارق نور) يناديك:

– الغشاء.. مصلحتك أولًا.

هذه هي حضارة الغرب، وهي حضارة منزوعة الحياء، نستوردها نحن في صورة سينما، وموضة، وأعضاء جنسية صناعية، وأخيرًا غشاء.

فمتى تزيل الحكومة المصرية الغشاء عن أعينها، قبل أن تفقد مصر عذريتها.

المانيكان العريان

من لم يمر من أمام محلات "رشدي" بشارع المنيل، و"أبو الفتوح" بدار السلام، وشوارع وسط البلد، فهو في عصمةٍ من أمره، وعليه بالزواج بسرعة قبل أن يقع في الخطيئة مع مانيكان.

هناك تجد المانيكانات لا تستحي، وتقف أمام المجتمع المار في الشارع إما بقميص نوم، أو سلط ملط بدون قميص.

إيران فرضت الحجاب الشرعي على المانيكان، وقديمًا قالوا الطعام عورة، ولا يجوز أكله إن كان مكشوفًا، وكان الرجل قديمًا يستحي إن رأى سلكة كهربا عريانة، أما الآن فالأسلاك تقف عريانة في قلب الطريق العام بلا حياء.

ولي صديق تعود أن يذهب للوقوف أمام محلات رشدي يوم الخميس، قبل أن يفتح الله عليه، ويعمل في محلات أبو الفتوح، وكانت عفاف جارتنا تقتني مانيكان في منزلها من بقايا نكسة ٦٧، ولم تتزوج عفاف حتى

الآن، رغم أنها مخطوبة من قبل النكسة، ثم علمنا أن المانيكان رجالي، وأن خطيبها قد هاجر إلى ليبيا بعد حرب أكتوبر التي تم تحطيم مانيكانات البلد فيها.

وإذا طُبقت هذه القرارات في مصر، فسنسمع أن الشرطة "الذكية" قد قامت بالقبض على خمسة مانيكانات بتهمة التعري، وإن اثنين منهم قد اعترفوا بالجريمة.

وحيث أنهم فرضوا الحشمة على المانيكان في إيران، وفشلنا نحنُ في فرضها على البني آدميين، فيمكن للمواطن العادي أن يكتفي بمشاهدة حفلات بورتومارينا دون اللجوء لمانيكانات محلات رشدي.

واليوم جاءني صديقي في قمة الفرح، وبشرني بخبر سعيد، فقد استطاع أن يمتلك مانيكان تمليك، اشتراه من محلات أبو الفتوح.

Keyboarding

من الهمس الأونلاين

جمهـــورية مصر الإلكترونيـــة

من قلب حواري القاهرة العتيقة، وعبر غيطان القمح، والذرة، والقصب، في صعيد مصر، ومن خلال فروع شجر المانجة، والجوافة، وحبات الطماطم الحمراء، في ريفها، امتدت وصلات النت، وعبرت، وتفرعت، فدخلت الدوار والبيت، والدكان، والمصلحة، والهيئة، ودخل حضرة العمدة على جوجل، و chat مع عمدة نيويورك، ووقعت بهانة في حب ريتشارد، واتفق أشرف مشارط مع أنستاسيا على الجواز، وهكذا أصبح النيل العريق يضم على جنباته أولى الجمهوريات التكنولوجية، وهي جمهورية مصر الإلكترونية.

تخيل معي عندما تدار إمبابة ودار السلام إلكترونيًّا، ويتواصلون مع أخواتهم في مصر القديمة، والجيزة، وبولاق، والسيدة، وعابدين، والأباجية، ويشقر الأخوة في مصر الجديدة على إخوانهم في العمرانية عبر الايميل.

وأن يمتد الوهج الإلكتروني إلى كفر البطيخ، ومنشية شينكاح، وميت أبو صبع، وعزبة أبو محسب، وغيرهم من عواصم العالم الريفي في مصر، فتلعلع لعلعةً تحت تأثير السيرش الجوجلي، والتواصل الفيسبوكي.

تخيل معي عندما تدار أقسام الشرطة، ومدارس الحكومة، والسِّجل المدني، واستاد القاهرة، والصحة، والمستوصف.. بالإنترنت، ويتم عمل كل شيء عبر الأثير الإنترنتّي، يعني - أنا وأنت - نقدر نخلص كل المصالح واحنا في البيت بالصلاة على النبي..

دارَ كل هذا في ذهني عندما وصفت الحكومة المصرية نفسها أنها "حكومة إلكترونية" وذلك على يد رئيس وزرائها أحمد نظيف، فسرحت بخيالي، وصرت أتخيل حالنا الإلكتروني الجديد على يد هذه الحكومة الـ - لامؤاخذة - إلكترونية، أننا سنعيش في: الزمن الإلكتروني.

التعليم مثلًا يبقى إلكتروني..

يعنى بدلًا من المشوار والشحططة، يدخل الطالب موقع الجامعة، فيجد نفسه في قلب المدرج، يستمع إلى الدكتور الذي يتكلم في وادٍ، والطلاب يمارسون الشات في وادٍ آخر، ويقوم (بشقط) طالب يتحدث مع زميلته، فيقوم بطردهما خارج الموقع، مع سحب اليوزرنيم والباسوورد.

والجواز يبقى إلكتروني..

- يا عمي، أنا شاب مبتدئ، عندي موقع تلات صفحات ودومين،

والحمد لله بابا كان سايبلي حتة مدونة على "بلوج سبوت"، وبفضل الله قدرت أكون نفسي في زمن قياسي، ودلوقتي بعمل سيرش في جوجل على شقة إيجار قديم.

ويبتسم في خجل مكملًا:

- وأنا شوفت بنت حضرتك على اليوتيوب، ودايمًا كانت بتعمل كومنت عندي، والحقيقة عجبتني أخلاقها، ويشرفني إنها تشاركني حياتي، ونعمل أكونت مشترك.

يتنهد أبو العروسة في عشم، ويقول:

- يا ابني احنا بنشترى يوزر، وعمر الفقر ما كان عيب، ومدام سمعتك في المنتديات كويسة، والبنت موافقة يبقى مبروووك.

ويضج (الياهوو ماسنجر) بالفرحة، ويتجمع أهل العروسين من كل فج عميق، وتقام الأفراح، وغرف الشات الملاح، وينشأ أصدقاء العريس جروب على الفيسبوك مع تحديد Event بميعاد الفرح.

وتذهب العروسة إلى الكوافير، والكوافير في الزمن الإلكتروني هو مصمم فوتوشوب محترف، يحيل الصورة الديجيتال بلمساته الساحرة إلى عروسة تتم (رفعها) على الـ Up-loader إلى الكوشة الإلكترونية.

ويُطلب العشاء والمشروبات Delivery إلى المعازيم الذين يجلسون معززين في بيوتهم، يتابعون بالرقص والفرحة مراسم حفل الزفاف

الإلكتروني، الذي تتم فقراته على اليوتيوب، والفيسبوك، والماستجر.

ثم تتجه أنظار الجميع إلى موقع Ma2zoon.com لكتب الكتاب، وتعلية الجواب، يضغطون Enter على سنة الله ورسوله.

التعذيب في الأقسام يبقى إلكتروني..

Omranya.com، Bolaak.com، Embaba.com

أسماء أقسام الشرطة في جمهورية مصر الإلكترونية، ويا ويله اللي هيتسئل ويطلع معهوش User Name أو ماشي من غير إيميل.

سيتم أخذه عبر الموقع في كعب داير لعمل تحري له، وربما تحدث تجاوزات من بعض ضباط الشرطة، ويقومون بتصوير المواطن أثناء تعذيبه بالويب كام، ومنها إلى اليوتيوب.

الجلوس على المقهى إلكتروني..

وتستطيع أن تطلب شيشة معسل، وتسحب من الكمبيوتر (لي) وتشد نَفَس إلكتروني.

ثم تفاجئنا وكالات الأنباء عن خبر تركيب أول USB لإنسان، يستطيع من خلاله التفاعل مع كل عناصر الحياة.

سأكون أول واحد يسعى لتركيب الـ USB، وستجدني أقف أمام محل عصير القصب، أقوم بتركيب الـ USB الخاص بي في السوكت وأستمتع بطعم العصير المنعش.

وأمام المكتبة، أقوم بتحميل معلومات تاريخية إلى رأسي مباشرة، من خلال جهاز مثل ماكينة النقود، لكنها ماكينة كتب إلكترونية ومعلومات، تمر عبر الـ USB إلى الزبون.

ولك أن تتخيل كيف يكون التكاثر بواسطة الـ USB..

وتكون الجرائم أيضًا، وزير ينهب أموال الـ Users، وموظف يختلس ١٠٠ جيجا من حساب الشركة على الـ Rapidshare.

المصالح الحكومية تبقى إلكترونية..

والرشوة هتبقى عيني عينك في المنتديات والمصالح الإنترنتية الحكومية.

تدخل (سجل مدني دوت كوم) تطلع بطاقة، تلاقي اللي بيقول لك:

شخشخ الكيبورد يا سيد..

حيَّ على الجهاد الإلكتروني

كلما فتحت الكمبيوتر، أو دخلت الحمام، أو وقفت في طابور عيش، تأتيني إيميلات ورسائل تحثني على الجهاد الإلكتروني، بغلق هذا الجروب، ونشر تلك الرسالة، وتمرير هذا الخبر، وتوصيل ذاك التنبيه.. حتى تأكدت أنك إذا أردت أن تهلك شخصًا، وتضيع وقته، وجهده، وترسله للأنتخة في الهيلولة المطلقة، فعليك بعمل جروبين تلاتة تسب في دينه، وتنتقد مبادئه، وتسخر من مقدساته، وسيب الباقي على الشخص ذات نفسه.

يشحذ الهمم، ويدعو الناس لمقاطعتك، ويقيم الحملات المنظمة لمقاطعة الجروب اللعين الذي أنشأته على الفيسبوك، ويلعن سنسفيل جدودك على السبحة، وأنت تمارس شُرب النسكافيه ضاحكًا، وهكذا لم يتبقَ من فكره، وجهده، وعمله في الحياة سوى حبة إيفينتات، وبانرات، وجروبات مضادة.

وقد بلغ استخفاف البعض بنا مبلغه، لدرجة أنني أقسم بالله إن رسائل

تفطس من الضحك تأتيني من مئات الأصدقاء يوميًا، والجميع يتعاملون معها بجدية، وحزم، وهمة، مثل الرسالة الشهيرة إن الموبايل هيطلع فيروسات في وشك لو رديت على رقم زيرو خمستاشر، ومش بس كدة، يتوعدك مرسل الرسالة بإنك إن لم ترسل الرسالة لخمسة من أصدقائك يبقى يشيل ويحط عليك، وهتروح فين من لعنة الله يوم القيامة.

ثم يظهر على السطح جروب فيسبوكي جديد يسيء للقرآن، فتنطلق مئات الحملات، والتظاهرات الإلكترونية من غرب العالم الإسلامي وشرقه.

مبدأ الداعين إلى حملات للرد على هجوم الهاجمين، هو الخوف من افتتان الناس بما ينشره الكفرة، والملحدين، وأعداء الدين، لكن الحلول المنطقية كثيرة جدًا، ولا تتضمن التفرغ لرد الجروب بجروب، ورد الايميل بإيميل، وإنما التفرغ للدعوة إلى الدين الصحيح، وتعريف الناس بتعاليم الدين السامية، وقتها لن يجد الساخرون من المقدسات، ولا زبون واحد يستمع إليهم.

طبعًا كلنا نذكر الشيخ أحمد، حامل مفاتيح الحرم، والمنام الشهير، والرسالة التي إن لم تطبعها وتوزعها على ٤٠٠٠٠ شخص فسيأتيك خبر منيل، وإذا فعلت فسوف يأتيك مال عظيم لن يقل عن ١٠٠٠٠ دولار.

وقد قال فضيلة الشيخ القرضاوي في مثل هذه الرسالة: "هذه الرسالة وأمثالها تخرج في هذه الأوقات؛ لتشغل المسلمين عن واقعهم ومستقبلهم،

وتوجه جهودهم، وأموالهم، وأوقاتهم، إلى ما لا ينفع بل يضر، فقد يولد هذا التصرف التواكل، والكسل لدى كثير من المسلمين؛ لينتظروا المال الوفير، والعمر المديد؛ بسبب توزيع وُريقة لا تقدم ولا تؤخر، فهذه حيلة مكشوفة، وخدعة ساذجة، ينخدع بها البسطاء والسذج، ولا شك أنه يقف وراءها من يروج لها بسوء نية وخبث طوية. وبناءً على ذلك لا يجوز طبع مثل هذه الوصايا المكذوبة، ولا توزيعها؛ حفظًا لأموال المسلمين وأوقاتهم".

فاكرين نظرية الحمار والجزرة؟ لما الفلاح حط الجزرة قصاد الحمار؛ عشان يفضل ماشي؟

أصدقائي – الفيسبوكيين، والإنترنتيين، والمدونين – الأعزاء:

بلاش نهتم بالجروبات والرسايل من النوع الجزر، وإلا هنبقى حمير.

أسئلة الشات العشرة

كان اختراع الإنترنت بالنسبة لمعظم شباب بلادنا العربية في فترة من الفترات يعني شات، ولا شيء غير الشات، نفتح أول ما نفتح مواقع الشات وبرامجه، ومواقع التعارف ومنتدياته، ونبحث أول ما نبحث عن الطرف الآخر اللطيف الظريف الذي يشاركنا الحوار، والمتعة، واللهو بنوعيه البريء وغير بريء.

تعمل إيميل، وتدخل على غرف الياهو والماسنجر، فتجد بناتًا من محبي عمرو دياب، وبناتًا أخرى من محبي العندليب، وأولادًا محبي النوعين من البنات..

وبدأ تأسيس علم الشات في العالم العربي على أسس ظلت راسخة لسنوات قادمة. وأول من وضع أسس الشات العربي العريق، هم أولاد حتّتنا وحتّتكم من الصبيان عمر ١٥ سنة وانت طالع..

تدخل فتجد إعلانًا يبحث صاحبه عن: فتاة، أو بنت، أو طفلة، أو امرأة، أو مطلقة، أو أرملة، أو عجوز.. وذللك للحب، أو الصداقة، أو الجنس، أو الزمالة، أو المراسلة. يعني أي حاجة في رغيف، المهم أن ينتهي بالتاء المربوطة، ومن هنا نشأ القول العالمي المأثور كله عند العرب صابون.

وقد تم تأليف كتب ومراجع عن الشات، ومخاطره، وميزاته، ومنافعه، ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة الموضوع اجتماعيًّا بصورة مباشرة، لكننا بصدد السخرية من الصورة التقليدية للشات في مجتمعاتنا العربية.

ورغم التطور الشديد في تكنولوجيا وديناميكية التعارف الإنترنتي، إلا أنه ظلّت هناك عشرة أسئلة مميزة للشات العربي والمصري مميزًا شديدًا:

-١-

هاي.. ممكن نتعرف؟

وهي الجملة الافتتاحية لأي شات مولود حديثًا. وقديمًا كانت فاكهة الشات والمنتديات، والتحية الرسمية في بداية أي شات، والإستئذان اللطيف لبدء أي شات.

أما حديثًا فتنم عن جهل شديد، وتأخر عنيف، وتخلف شنيع، فالتقدم العلمي الذي أصاب الشات اختصر العديد من الكلام الكيلوميتري الذي

لا فائدة منه، وغالبًا يبدأ الشات الحديث بسؤال (تحبي نتقابل فين؟).

وقديمًا كانت البنت عندما تُسأل عن اسمها فإن عفاف تقول اسمي مروة، وعبد الباسط يقول اسمي حسام، ومغاوري يقول اسمي هيثم الدكر، وتقول أم السعد اسمي باكينام.

وقد اخترع الشاتيون مصطلح ASL وهو اختصار لـ

Age، Sex and Location

العمر دائمًا ما يتم تظبيطه، فالكبير ينكمش عدة سنوات ليصبح صغيرًا، والصغير ينتفخ عدة سنوات ليصبح ناضجًا، والعجوز يصبح صبيًّا في دقائق، والطفل يصبح رجلًا في لحظات.

أما الجنس فتجري عمليات تحويل جنسية في بعض الأحيان، فعندما يفشل ذكر الشات في اصطياد أنثى، يتحول فجأة إلى ريهام، ورينام، وروزنام، وهند الدلوعة، ويبدأ في اشتغال خلق الله من الذكور.

أما بالنسبة للموقع أو السكن، فغالبًا تتم الهجرة خلال لحظات الشات من المناطق البيئة والعشوائيات إلى مصر الجديدة، والمهندسين، والدقي، أو تتم الهجرة إلى أوروبا، وأمريكا، وكندا، وذلك في حالة الشات مع أبناء الفرنجة الكرام.

في بعض الأحيان، تكون الإجابة على هذا السؤال صادمة ومروعة، عندما تكون الإجابة: لأ.. باي.

-٢-

إنتي كام سنة؟

لمعرفة نظام الضحية، صغيرة فيتم الغرغرة بها، كبيرة فتتم معاملتها بمزيد من العقلانية، متوسطة فغالبًا ما تطمح الضحية في الخروج من الشات بعريس أو عروسة.

لا تلجأ أنثى الشات لتغيير عمرها مثلما يفعل ذكر الشات، فهي في الغالب لا يعدو الأمر أكثر من تسلية، أو عريس، وفي بعض الحالات، ومع نوعية معينة يكون الهدف ليلة حمراء مدفوعة الأجر، وفي جميع هذه الأحوال لا يتطلب تغيير العمر تكبيرًا وتصغيرًا.

بينما إذا سُئل ذكر الشات عن عمره، كانت الطامة الكبرى، فيتكعور على نفسه، وينبطح أرضًا، ويجمع، ويطرح، ويقسم، ويضيف لعمره سنوات، ويخصم سنوات، حتى يصبح ملائمًا للأنثى شريكته في الشات.

وغالبًا ما يضيف ذكر الشات سنتين تلاتة إلى عمر أنثاه، فيصبح عمره بمعنى:

سن هيثم = سن ولاء + ٣ سنوات.

اعتقادًا منه أن البنت تبحث عن شريك لحياتها، وغالبًا ما يكون هما الاتنين دون الرابعة عشرة، وأحيانًا في السبعين ربيعًا، وقد ضاع العمر يا ولدي.

-٣-

إنتي ساكنة فين؟

لو طلعت أنثى الشات ساكنة في مدينة نصر، فسيكون هو ساكن في مصر الجديدة، ولو طلع ساكن في المعادي فستكون هي ساكنة في الدقي، أما لو طلعت من بولاق الدكرور، فلا مانع أن يعود هو لموطنه الأصلي في العمرانية.

ويمكن تطلع جارته، وتكون فرصة ليسألها، إنتي ساكنة فين في إمبابة؟

- في شارع مبروك.
- ياااه، فين في شارع مبروك؟ دنا ساكن على الناصية، في شارع بركات.
- جنب البنزينة، عند بقالة أبو عمر.
- أهو أنا بقى عمر ابن أبو عمر.

أحيانًا تكون الإجابة على هذا السؤال باسم دولة، إذا كانت البنت لا تريد أكثر من شات لمدة دقائق، فمثلًا تسأل البنت ساكنة فين ترد عليك: ساكنة في مصر، وهذه الإجابة تسمح بمساحة من الاستظراف فيرد: ياااه، ده احنا جيران أوي.

-٤-

تحبي نتكلم في إيـه؟

سؤال من أمهات الأسئلة، ومرجعيات الشات البيزنطية، وقد اندثر منذ الرعيل الأول من الشاتيين، ولا يسأله الآن إلا واحد نام منذ سنوات واستيقظ لتوّه، وهو سؤال يدفع للملل وللاستيقاظ من غفوة الشات اللذيذة، وغالبًا ترد أنثى الشات: أي حاجة مؤدبة، وبلاش قلة أدب.

وقد تطلع البنت مثقفة، وتفتح موضوعًا ثقافيًا، وتسأله بتحب تقرا لمين؟ ويسبب هذا السؤال غالبًا لذكر الشات ارتجاجًا في المخ، وانفجارًا في الأوعية الدموية، ويدرك إن هذه البنت بتحب القراءة، ويستأذن؛ لأن خالته بتولد في المستشفى، ولازم يزورها.

-٥-

بتدرسي ولّا مخلصة؟ / في كلية إيـه؟

يدرك ذكر الشات جيدًا أن الطالبة تكون أكثر خجلًا وأقل عملية، والخريجة أقل خجلًا وأكثر عملية، ولو كانت طالبة مثله، فهي فرصة عظيمة له، ولو كانت خريجة وهو لسه طالب، فهي فرصة كئيبة، ولو كان خريجًا وهي طالبة فهي فرصة أعظم.

وكان قديمًا أيام الرعيل الأول للشاتيين، ينقسم أهل الشات إلى قسمين: فئة الطلبة في سن المدرسة الثانوي، وفئة الطلبة الجامعيين، أو الخريجين الجدد ذوي الوقار والمريسة.

وقد ساهم الشاتيون الثانويون، أبناء المدارس الثانوي والدبلومات، في ابتكار أسئلة الشات العشرة.

-٦-

إنتي مرتبطة؟ / بتحبي؟ / مصاحبة؟

مرتبطة في الأوساط الاجتماعية الشعبية، ومصاحبة في الأوساط الهاي كلاس.

تسرع أنثى الشات إلى الادعاء بأنها مرتبطة للتخلص من وجع الدماغ، أو تقول مع تنهيدة حارة: "كنت مرتبطة"، أو تقذف في وشه جملة: "مش مرتبطة، ومش عايزة أرتبط".

هو دائمًا غير مرتبط، ويبحث عن شريكة، إلا في حالات الشات مع أنثى مرتبطة، فيدعي الارتباط، ويبدأ في الشكوى من خطيبته، أو التغزل في محاسنها، وكل هذا في سبيل سبر أغوار الضحية.

-٧-

بتحبي تسمعي مين؟

لو قالت إنها تعشق الاستماع إلى إحدى فاتنات الطرب مثل ميريام فارس، فإن السؤال التالي سيكون: عندك صور حلوة لميريام؟ ولو كانت تعشق الاستماع إلى أحد المطربين المتنسبين للذكورة كذبًا وزورًا فهي فرصة رائعة للتسبيل والسرحان، أما لو كانت تعشق الاستماع إلى (مطرب دكر) مثل محمد منير أو أحد مطربي الزمن الجميل، فربنا يعوض علينا.

-٨-

بتقضي يومك إزاي؟

الصورة الخفية لهذا السؤال: بتاعت سينيمات؟ بتاعت مولات؟ بتروحي جناين؟ آخرك برة الساعة كام؟ بتخرجي وتروقي ولا لازقة في البيت؟

غالبًا ما يكون هذا السؤال غامضًا لأنثى الشات الحديثة، فتشرع في شرح كيفية إتقانها للطبيخ، وواجبات الطبخ، والغسيل، والكنس، التي تهلك جتتها، وتحولها إلى شبح عفريت في آخر اليوم، وغالبًا في هذه الحالة بيستأذن ذكر الشات؛ لأن عمته بتنده عليه.

-٩-

إنتي لابسة إيـــه؟

ابتدينا قلة الأدب..

عادة ما يقابل هذا السؤال من البنت بـ Block أوIgnore أو حتى Delete على أحسن الأحوال، فهذا السؤال تحديدًا يحمل كل النوايا الذكورية السيئة لوكشة واحدة إلى صندوق الشات.

وعادة ما يتراجع الذكر حينما يستشعر الخطر إزاء هذا السؤال، بأنه كان يسأل عن اللون، ولا يقصد السؤال عن شكل الملابس، حيث أنه يعشق الأخضر الداكن؛ لأنه يذكره بخالته الله يرحمها.

- لأ، مش لابسة أخضر داكن.

- طيب، أنا كنت بسأل بس.

-١٠-

أنا مستريح لك.. تحبي نتقابل؟

لو اجتاز الطرفان كافة الاختبارات النفسية، تصبح النهاية السعيدة لذكر الشات ولأنثاه أيضًا، هي الاتفاق على المقابلة، وغالبًا ما يكون هذا السؤال والإجابة عليه مشحونان بعاصفة من المشاعر المتناقضة.

في الغالب، تكون نتيجة المقابلة غير مُرضية إطلاقًا للطرفين:

له: الذي رسم صورة ملائكية لها في خياله.

ولها: التي تخيلته رجلًا ملو هدومه.

أما التعارف بهدف الصداقة والمعرفة، فغالبًا يتميز بالحميمية، وخلوّه من المشكلات والنفسنة، ولا يرى كل طرف من الطرف الآخر إلا إيجابياته، ويتصرف بتلقائية، وعلى طبيعته، ولا يهتم بسلبيات الآخر، وقد تنتج عنه صداقات مقدسة، ومحترمة لا تنتهي أبدًا.

أصدقائي الأعزاء،

الشات في الرعيل الأخير من الشاتيين، أصبح أكثر رقيًا وسموًا من ذي قبل، وأصبحت هناك علاقات عمل وارتباطات ناجحة جدًا تمّت بفضل تلك الشبكة ذات العنكبوت. أنا شخصيًا اكتسبت صداقات ومعارف من خلال المنتديات، والمدونات، والماسنجرات، والفيسبوكات اتشرّف بها جدًا، وأفتخر بها.

البشر في كل مكان هم البشر، والإنسان هو الإنسان، لا يفرق بينهم إن كان أخًا، أو جارًا، أو زميل دراسة، أو صديق إنترنت، إلا الإنسانية، وربَّ أخٍ لم تلده لك أمك، وإنما أنجبته الإنترنت.

عيد ميلاد الإنترنت

أربعون عامًا مرت منذ توصيل أول جهازين كمبيوتر ببعض، في أكتوبر عام ١٩٦٩م، وكنا قد احتفلنا هذا العام أيضًا بالذكرى الأربعين لهبوط أول إنسان على سطح القمر أيضًا في عام ١٩٦٩م، ويبدو أنَّ هذا العام حافل بالإنجازات الحضارية الرهيبة.

في عام ١٩٦٩، تمطعت ليبيا فأنجبت ثورة الفاتح، وقامت بقيادة العقيد الأخضراني معمر بالاستيلاء على السلطة، وكانت مصر تخوض حرب الاستنزاف بعد حرب النزيف والنكسة في ٦٧، وكان العالم العربي بأسره يرزح تحت نير حكام ماركة الحديد والنار.

في نفس العام ١٩٦٩، كان الغرب مشغولًا بغزو القمر، وهبوط أول إنسان على سطحه، وكنا في مصر نحاول الهبوط على سطحها مش عارفين؛ لإننا كنا لازلنا نحصل على القماش الدمور بالطابور كما نحصل على العيش الآن. وكان المسجد الأقصى يحترق والغريب أنه لازال

يحترق كل يوم، وانتقل الحريق الآن إلى قطارات مصر، ومسارحها، ومجلس شوراها.

في هذا الوقت، كان العالم المتقدم مشغولًا بتوصيل الكمبيوترات ببعضها حتى يتسنى نقل المعلومات، وشهدت معامل كاليفورنيا وبحضور ٢٠ عالمًا متخصصًا في تكنولوجيا المعلومات، عملية نقل بيانات بين جهازي كمبيوتر عبر سلك طوله حوالي ٢٠ مترًا، وكانت تسمى شبكة أربانت.

وفي السبعينيات، بدأ استخدام البريد الإلكتروني، فكنا حتى هذا الوقت لا نسمع ولو سمع خير عن الإنترنت، ولا الكمبيوتر، فقد كنا نتعاطى خطب عبد الناصر والسادات في العضل، والوريد، والشرج، فنقوم بالهتافات الشعبية للزعيم الخالد والرئيس المؤمن.

والآن فقد تطورنا تطورًا كبيرًا في مجال تكنولوجيا المعلومات، فصرنا على رأس البلاد التي تبحث عن السكس في الإنترنت، وقمنا بأكبر نهضة حضارية إنترنتية عرفها العالم في مواقع الزواج، ومواقع الفتاوى، ومواقع الشتائم، قمنا بحجب مواقع، وإطلاق مواقع، وتدشين مواقع، وكلها مواقع منها وإليها نعود.

نهضنا نهضة حضارية كبرى، فصرنا نستطيع مقاطعة الفيسبوك، والدعاء على اليوتيوب بأن تحل على رأسه مصيبة، وكشفنا شعرنا ودعينا على الهوتميل، بل نستطيع الآن بفضل النهضة الحضارية أن نلعن سنسفيل

جدود الأمريكان الكفرة، والألمان الملاحدة، ونصمم بانرات للمقاطعة.

صارت لدينا حكومة تسمى حكومة إلكترونية، تذهب لتدفع فاتورة تليفون، فيقول لك الرجل: "الشبكة واقعة"، وتذهب لتدفع فاتورة إنترنت فيقول لك الرجل: "البرنتر عطلانة"، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن مصر لديها: شبكة وبرنتر.. يعني على وش جواز.

عزيزتي الإنترنت،

أعلم أنكِ تراقبيننا أثناء عبثنا فيكِ، فنحن في بلادنا قد عودونا على أن نعبث بأي أنثى تقابلنا، وحسبناكِ أنثى، فصرنا نتحرش ببنات الناس في العيد، ونتحرش بكِ طوال العام.

ماما زمانها ليلى

عن البنات والستات.. نميمة

ليلى.. الأنثى المصرية

ليلى هي رمز المرأة العربية والمصرية تحديدًا، ولما كانت خبرتي بالمرأة العربية غير المصرية قليلة – باستثناء ليلى اللبنانية بفعل الفضائيات – فأعطيت ليلى الجنسية المصرية، وأفردت لها في هذا الكتاب العويص فصلًا كاملًا، يعني واخدة حقها وزيادة، أتكلم فيه بشكل ودي عن الست ليلى المصرية، وممنوع الضرب.

ليلى أمي الحبيبة، وليلى أختي العزيزة، وليلى بنت الجيران الغتيتة، وليلى طالبة المدرسة الثانوي أم مريلة كحلي التي غنى لها منير، وليلى ألطف الكائنات التي غنت لها سعاد حسني، وليلى أم التنورة النيلية التي غنت لها فيروز (سمرة ي أم عيون وساع، والتنورة النيلية مطرح ضيق ما بيساع، رح حطك بعينية) وليلى طالبة الجامعة الهادئة التي تحتضن كشكول المحاضرات، وتبتسم في خجل عندما تصطدم عينيها بعين زميلها، وليلى الموظفة التي تستكمل تقميع البامية على المكتب، ثم تعود إلى المنزل حاملة أكياس الخضار.

ليلى الزوجة التي تصبر على عناء الحياة في انتظار اللحظة التي تلقي فيها بنفسها في حضن الرجل الذي تعشقه، وليلى المطلقة التي تعيش بين ذكريات الماضي وترقبات المستقبل، وليلى الأرملة التي تعلمت واحترفت الخياطة؛ لتنفق على أولادها بعد رحيل زوجها، وليلى ست البيت وهي واقفة في المطبخ تضع (نَفَسَها) في الطبيخ، وليلى وهي تسير في شوارع وسط البلد تتعبد في محراب محلات الملابس.

ليلى التي أكملت تعليمها حتى أصبحت أستاذة جامعية، وطبيبة، ومحامية، وقاضية، وباحثة، وكيميائية، وكاتبة، وأديبة، وفنانة. وليلى التي لم تدخل مدرسة يومًا وتجيد صنع الجبنة، وخض اللبن؛ لصنع الزبدة، وجمع البيض من تحت الفراخ.

ليلى التي ترتدي النقاب، وليلى التي ترتدي الخمار، وليلى التي ترتدي الحجاب في شوارع القاهرة، وليلى التي ترتدي البيكيني في شواطئ مارينا والساحل الشمالي، وليلى التي تخلع ملابسها في اليوتيوب وشارع الهرم.

ليلى التي ترتدي العباية السوداء، وتغطي نصف شعرها بالطرحة في المناطق الشعبية، وليلى المتحررة والمثقفة التي تجلس على مقاهي وسط البلد، وتحضر ندوات مكتبة البلد، وحفلات ساقية الصاوي، وأمسيات بيت السحيمي، وتشاهد مباريات منتخب مصر في استاد القاهرة.

ليلى المصرية، نفرتيتي، وحتشبسوت، وكليوبترا، وأم فاروق، وبهانة،

وسعدية، ومرزوقة، وميريهان، وباكينام، وأم السعد.

حياة ليلى المصرية، وطباعها، ومشاكلها، وسخريتها، لا ينتهي الكلام عنها..

وهذا الكلام هو رؤية شخصية بحتة، وليس له علاقة بالأيدولوجيات، أو المنطقية، أو الموضوعية..

كلام تلقائي يمتزج فيه الجد بالهزل، ويختلط فيه حب ليلى مع الغيظ منها، أهديه إلى حملة (كلنا ليلى) على الأنترنت التي فتحت نفسي للحديث عن ليلى، غير أن ليلى ليست مادة للسخرية، ليس لأن دمها ليس خفيفًا، فليلى المصرية دمها شربات، ولكن تجنبًا للكدمات التي تعقب محاولة السخرية منها.

أهم عشر حاجات في حياة ليلى

في حياة ليلى أشياء تسعد بها، ثوابت، ومقدسات، ربما تميزها عن غيرها من نساء الأرض، وتعتبر سمات مميزة، وماركة مسجلة، وربما تشترك فيها مع نساء آخرين على كوكب الأرض لا نعرفهن.

وهذه رؤية شخصية بحتة، بعيدة عن الأبحاث العلمية، وعن الأيدولوجيات البحثية، يمتزج فيها الساخر بالجاد، لكنها (تنشع) احترامًا لتلك الـ (ليلى) التي أنجبت البشرية بكل كفاءة.

هذه الحاجات هي ما رأيته في أمي، وأختي، وصديقتي، وزميلتي، وجارتنا أم حسن، ونبوية، وعواطف، وسنية سوست، ومحاسن جفن العين، وكل من حملت التاء المربوطة من حولي.

عشر حاجات في حياة ليلى، هي الأهم والألذ لديها:

-١-

الرغي

عندما تجالس ليلى لعدة مرات، تشعر وكأنها بالعة كلبة والدة – لكن إذا كنت خبيرًا بأمور ليلى، فإنك تستطيع أن تميز عدة أنواع من الرغي:

أولها: رغي فطري ينشأ مع البنت بعد انتهاء الرضاعة، فتجدها تتحدث مع أمها، ومع أختها، ومع دميتها، ومع أخيها الرضيع، ومع عمو حسن، ومع جدو عباس اللي عمره ١٣٠سنة، وأخيرًا لو مالقتش حد، ترغي مع نفسها في المراية أو تغني في الحمام.

ثانيها: نوع من أنواع الرغي يتولد مع شعورها لأول مرة بالحب، فتجدها بتدلدق كلام مع كل صديقة من صديقاتها، ومع كل أفراد العائلة – نفر نفر – فتشكو، وتتنهَّد، وتكتئب، وتنبسط في نَفس واحد، وتكتب كشاكيل مذكرات، وتملأ سطح مكتبها بالأشعار، والقلوب، والأسماء، وتملأ ذراعها بالتاتوهات.

ثالثها: نوع يظهر فجأة إذا جلست ليلى في وسط شلة ليلاوات، فتجدها تبدع إبداعًا مبهرًا في تفسير مقتل سوزان مميم، وطريقة عمل طاجن المسقعة باللحمة الضاني، وسر علاقة البت رنا بالواد حمبوزة، ورأيها في فستان البت عبير، وخناقتها مع باكينام، وخروجتها مع سوزينام في أحاديث مالهاش آخر.

وهكذا، فإن الرغي سمة إنسانية رفيعة المستوى تميز ليلى، وتفسير هذه الظاهرة على ما يبدو لي إن ليلى محرومة من بعض مميزات الرجل التي تجعله أقل كبتًا. مثلًا: ممنوع الخروج إلا لسبب، مع إن أخوها ممكن يخرج؛ بسبب إنه مش لاقي حاجة يعملها.

-٢-

النكد

وهو مرتبط بالطبيعة المنزلية، حيث أنَّ ليلى في جميع أعمارها، ومراحل حياتها، تقضي في المنزل أكثر من ما يقضيه الرجل، وتقل صفة النكد في المرأة العاملة – لأنها مش فاضية – وتقل في أيام الدراسة، وتزيد في الأجازات الصيفية، وتزيد مع ليلى ربة المنزل إلى أقصى حالاتها.

ويرتبط النكد في ذهن الرجل بعدة مصطلحات أولها كلمة (هات).

وكلمة هات تسبب للرجل حالة حساسية وإسفكسيا، تجعله يصف المرأة بالنكد والعكننة، وتصيب جيبه بحالة جفاف مؤلمة.

وليلى قبل الزواج سهل السيطرة على غريزة النكد لديها، فبكلمة طيبة يمكن أكل عقلها وترضيتها، فمثلًا أختي عندما كنت أكسر لها قلم، أو ماج، أو مراية، أو ألة حاسبة، وتغضب وتنفجر في وجهي، كنت سريعًا ما أبكي وأسترضيها بدمعتين، تاركًا نفسي لها مهيض الجناح، وكنت سريعًا

ما أصعب عليها وتتركني، وربما تعطيني ربع جنيه.

أما ليلى بعد الجواز فأجارك الله - صعب ترضيتها بكلمة طيبة، ولابد للكلمة الطيبة أن تكون مصحوبة بتنفيد أمر، أو تلبية (هات) من الـ (هاتات) التي لا تنتهي.

والنكد الليلاوي في أغلب الأحيان، يكون رد فعل على البرود الرجالي الذي غلب البرود الأنجليزي، يكسر الرجل الكوباية، ويرمي بقشر اللب على الأرض، ويمسح يده المتعاصة بالطبيخ في ملاية السرير، وهو يدندن أحب عيشة الحرية، فتستشيط ليلى غضبًا، وتبدأ وصلة النكد.

-٣-

مـــامـــا

دائمًا ما ترتبط ليلى بأمها سواء قبل الجواز أو بعده. قبل الجواز تحب ترجع من برة تحكي لأمها كل حاجة عن حمادة اللي وقفت معاه النهاردة، وعن هيثم اللي جه يستلف منها كشكول المحاضرات، وعن سميح اللي حاسة بحاجة كدة ناحيته بس مش عارفة إيه دي؟

وغالبًا بتكون الأم منهمكة في تقميع البامية، بس مدية حس لليلى قال يعني بتسمعها، وفي الآخر تختم ليلى كلامها:

– ياترى إيه الإحساس اللي أنا حاسة بيه ده يا ماما؟؟

تقول لها أمها:

– ناوليني صينية أخرط فيها البطاطس.

وقديمًا قالوا: إقلب القدرة على فمها، البنت تطلع لأمها.

لكنهم حوروا هذا المثل ليصبح: إقلب القدرة على فمها، الفول يقع منها، فقد أصبحت البنات مختلفات بعض الشيء عن الأمهات.

أما ليلى بعد الجواز، فتستمد قرارتها من أمها، وتعيد صياغتها ويتم تنفيذها، ومن الأمهات من تبث روح المحبة والاستقرار في بيت ابنتها، فتصير أمًّا لابنتها ولزوج ابنتها، ومن الأمهات من تبث روح حرب أكتوبر في بيت بنتها، فيصير البيت ساحة للحرب، خصوصًا إذا كان شعار الأم مع ليلى: قصقصي طيرك ليلوف بغيرك.

–٤–

الشوبنج

عشق أبدي لا نهائي غير محدود، للف في وسط البلد، وفي كايروموول، وجنينة موول، والعتبة، وزنقة الستات، وطلعت حرب، وشارع الشواربي، وكارفور، وهايبر، وفي محلات الأحذية، والميك أب، والملابس، والطرح والـ – لامؤاخذة– لانجيري، والعطور، والإكسسوارات، وغيره.

تموت ليلى في اللف على المحلات، وفي المولات، حتى لو مش هتشتري حاجة، وغالبًا يشاركها رحلة الشوبنج ليلى تانية زيها؛ لأن في الظروف العادية مفيش راجل بيستحمل الرحلة دي، إلا إذا كان من فئة ذوي الاحتياجات الخاصة يطلق عليها مجازًا: الأزواج.

ولقد كنت سعيد الحظ يومًا، بأن اصطحبت ليلتين في رحلة داخل دهاليز محلات وسط البلد، ورأيت العجب العجاب، أسئلة لا تنتهي، وتدقيق، وتقليب، وفصال، واستبدال، وسبحت بحمد الله الذي خلق، نوعية من البشر تسمى البياعين اللي بيستحملوا كل هذا الغسيل والمكوى من البنات والستات.

وأعتقد أن لو مخلوقًا آخر غير ذلك الكائن البياع تعرض لما تفعله البنات والستات في الأسواق لارتدى حزامًا ناسفًا، وفجر نفسه عن طيب خاطر في أقرب أنثى تقول له في براءة:

- سبعين جنيه ليه؟ ده أنا لسه شرياه لبنت عمي بإتناشر جنيه.

وتخرج، وهي تحمل ما تريد بالإتناشر جنيه.

-٥-

الطبيخ

لازالت صفة عشق الطبيخ موجودة في ليلى المصرية الأصيلة، رغم تدهورها كثيرًا في بنات اليومين دول عن بنات زمان، تبدأ ليلى حياتها

بكتاب الطبخ مثل كتاب أبلة نظيرة، أو كتاب تعلمي الطبخ في تلات أيام – ما كانش حد غلب – أو كتاب تعلمي الطبخ بدون معلم – إبقى قابليني – وغالبًا تضع ليلى الكتاب على يمينها، وتحت إيديها حلة، وفي إيديها بصلة وسكينة وتقرأ، خرطي البصلة، وضعي ملح وفلفل، وانتظري حتى تحمر البطاطس.. الخ.

ثم تبدأ ليلى مرحلة جديدة بعد الجواز مباشرة، حيث تكتشف فجأة وبدون مقدمات أنها لا تجيد الطبخ، وأن كل خبرتها (الطبيخية) هي تحمير البطاطس، وعمل المكرونة بالصلصة، فتبدأ زيارات أم ليلى لها، ومساعدتها في المطبخ، كل هذا وزوجها البائس منتظر على أمل أن تجيد ليلى الطبيخ في يوم من الأيام.

-٦-

الأطفال

عندما ترى الآنسة ليلى طفلًا زغنونًا فإنها سرعان ما تفرد دراعها قائلة: "يا خلاسي، ياختي، كمال أمو يا ناس..." عكس الرجل اللي بيتعامل مع الطفل بمنطق: "غوورر ياض من هنا".

وعشق ليلى للأطفال يمر بمراحل مختلفة:

– ليلى الطفلة، تحب تشيل أطفال العيلة اللي قدها، وغالبًا بتقع هي

وهما على جدور رقبتهم.

- الآنسة ليلى، ذات التنمتاشر سنة، تحب تشيل ولاد صاحبتها اللي اتجوزت بدري، وخلفت عيل، وتلاعبه في مرح لا يخلو من غيظ وحسد.
- ليلى الأم، تنظر لأي طفل نظرة تشخيصية متفحصة، ده بيكُح الواد ده بيتعرى بالليل، وده عنده انتفاخ وإسهال إديلوا أنتوسيد، والواد ده شبه خالتو سميحة، وده طالع لخالو عبشكور.
- ليلى الجدة، حيث تختم ليلى حياتها رافعة شعار أعز الولد ولد الولد، في حين تتعامل مع أولادها الكبار بنفس ذات المنطق (غور ياض من هنا)

إلا أنه من فرط حب ليلى للأطفال، فإنها عادة تبحث بين من حولها على من يحب طفلها بشدة؛ حتى تلزق له الواد، وتشوف مصالحها، غالبًا بيكون أمها.

-٧-

الخياطـــة

نادرًا ما تجد ليلى ليس لديها ماكينة خياطة (سنجر) أو (نفرتيتي) وبكرات الخيط، والإبر، والسوست بأحجام مختلفة.

وتجد ليلى في جميع مراحل عمرها مهتمة بالخياطة، ليلى الطفلة تخيط فستان لعروستها، وليلى بنت ستاشر سنة بتخيط شنطة لنفسها، وبتطرزها، وتحط لها ترتر، وليلى الأم تلم شربات العيال وتخيطها، وتخيط زراير القمصان المقطعة.

وللكروشيه، والتريكوه، مكانة خاصة عند كل ليلى في مرحلة عمرية معينة، غالبًا بتعمل بلوفر لأخيها الصغير، أو خطيبها، أو شنطة لنفسها، ترصعها بزراير على شكل بلح من الخشب.

وإحقاقًا للحق، وحتى لا أكون مثل القطط ألبس وأنكر، فإن الله رزقني بثلاث أخوات عاشقات للتريكوه، والكروشيه، والإبداع القماشي بأنواعه، ولقد نعمت بالبلوفرات الشتوية الثقيلة قبل أن يتزوجن منذ أكثر من عشر سنوات.

وماكينة الخياطة تلعب دورًا محوريًا، خصوصًا إذا مات الزوج، فهي غالبًا الصديقة الصدوق التي تحمي من مذلة السؤال، وشر الحوْجة.

-٨-

الذهب

لا يعبر حب ليلى للذهب عن طمع أو جشع، لكنه طبيعة أنثوية فطرية، أول ما البنت تتولد يجروا يخرموا ودانها؛ عشان يجيبوا لها (حلق) بتاع ربع جرام.

وتتوالى مظاهر حب ليلى للذهب عبر سنوات عمرها، شوية ممشي تشخلل بالدهب اللي في إيديها، وشوية: أنا عايزة خاتم يا بابا، وشوية البيت واقف على رجل واحدة؛ عشان فردة حلق ليلى ضاعت ومش لاقينها.

وحتى في الأزمات، أول فكرة دائمًا في دماغ ليلى الزوجة هي: خد بيع حتتين الصيغة دول يا أبو أشرف.

تبدأ ليلى حياتها بحلق ذهب صغير، وتبدأ حياتها الزوجية بشبكة ذهب، ويظل الذهب وسيلة لحفظ القيمة والادخار الآمن، والذهب يوقظ المشاعر، ويحرك العاطفة، ويبعث الثقة بالنفس، ويعطي شعورًا بالدلال وبالأنوثة، وأفضل ما يُقدم كهدية لامرأة مصرية هو خاتم ذهب، أو أسورة، أو سلسلة، أو حلق، فهو المعدن الأبلغ في التعبير عن المشاعر الإنسانية.

-٩-

الجنـــس

تسبب العادات والتقاليد المصرية التي تضع خطوطًا حمراء للحديث عن الجنس، فضولًا دائمًا لـ ليلى من أول ما تدخل سن البلوغ إلى ما بعد الجواز، ويصل إلى ذورته عند بلوغ سن الجواز في العشرينيات من عمرها، لكن الهوس الجنسي لـ ليلى مصرية، هو هوس راقٍ لا يتعدى حديثًا هامسًا

مع صاحبتها ليلى بشرطة، أو انبهارًا من حديث صاحبتها ليلى المتجوزة حديثًا.

-١٠-

اللبس

تعاني ليلى في جميع مراحل عمرها حالة إدمان من النوع الخطر؛ لشراء ملابس جديدة، ونادرًا ما يمر أسبوع على ليلى إلا وتكون اشترت فستان، أو تونك، أو بلوزة، أو بدي، أو جيبة، أو طرحة، أو شراب فيليه، أو جزمة، أو صابوه، أو توكة شعر، أو معصم، وغيره.

وتجد دائمًا دولاب ملابس ليلى يكفي لكساء شعب الصومال، أو كساء حي شبرا، وحي إمبابة بعد فتحهم على بعض.

أسوأ عشر حاجات في حياة ليلى

في حياة المرأة المصرية منغصات، تنغص عليها عيشتها، وتحيل بعض الأوقات إلى لحظات من الجحيم، فتصبح روح ليلى في مناخيرها، وشعارها يا شر اشتر، وتصير لغة التعامل المستخدمة هي إيد الهون، ولكن لحسن الحظ أن هذه الأوقات غالبًا لا تدوم، وتنتهي أوقات التنغيص والعكننة، فتتبدل لهجة ليلى، وتعود إلى رقتها ودلالها، وتصبح لغة الحوار المستخدمة أكثر لطفًا، وهي الشبشب أبو وردة فقط.

-١-

الضـرة

والضرة هي الزوجة الثانية، وستات مصر تحديدًا بيعتبروا إن الحكاية مسألة حياة أو موت، ولا تنظر ليلى لحكاية الضرة بنظرة عاطفية، لا تغار

على الرجل من استحواذ امرأة أخرى عليه، بل تأخذها مسألة كرامة، والدليل أن معظم الحالات التي نجحت فيها المرأة في إجبار زوجها على طلاق ضرتها، كان مصير الرجل بعدها النوم هانئًا في الكيس البلاستيك على هيئة طرنشات.

ويقال - والله أعلم - أن بعض النساء المصريات يفضلن العشيقة على الضرة، وأن ليلى إذا اكتشفت خيانة زوجها، تكون النصيحة التي تقدم لها دائمًا: "اصبري عشان ما تخربيش على نفسك، أو احتويه يمكن يكون مفتقد الحنان".

فتبدأ ليلى في تدليع سي السيد وهنهنته، حتى لا تستولي عليه العشيقة، فالدافع هنا هو الغيرة، وربما تفرح ليلى بإن جوزها (دون جوان) ومقطّع السمكة وديلها وزعانفها، وربما تتباهى بأن هذا الرجل الفتك مدوب قلوب العذارى من بنات حواء، قد اختارها هي من دون نساء العالمين.

أما إذا اكتشفت ليلى زواجه من امرأة أخرى، فقد قامت الدنيا ووقفت على رجلها و لم تقعد، وتكون النصيحة الأولى التي تقدم لها:

- اطلبي الطلاق.
- لأ.. ادبحيه وعبيه في كيس بلاستيك.
- لالالا.. حرام، استولي على فلوسه الأول قبل ما تدبحيه.
- روحي جيبيها من شعرها، وفرجي عليها الخلق.

- صوتي ولمي عليكي الناس وخلي العشرة منه بقرش.

- غيري كالون الشقة وما تدخليهوش.

- ولعي فيه بجاز.. إلخ إلخ

ولقد أطلقت ليلى المصرية الأمثال الشعبية الجهنمية، وأشهرها (الضرة مُرة ولو كانت جرة) وحكاية المثل إن رجل كان لا ينجب من زوجته، فأشارت عليه بالزواج من أخرى وألحت، وحتى لا تحدث بينها وبين زوجته الأولى مشاكل فقد ذهب إلى مدينة بعيدة للزواج، ثم اشترى (جرة) ولبسها ملابس امراة وذهب بها إلى منزله، ووضعها في غرفة وحدها، وخرج وعندما عاد وجد زوجته الأولى متشحتفة وتبكي:

- مراتك الجديدة شتمتني وبهدلتني.

فكسر الرجل الجرة، فقالت له زوجته:

- الضرة مُرة ولو كانت جرة.

أما إذا ذهبت إلى الريف، والأماكن الشعبية البسيطة، فالأمر يختلف، وليلى تفضل الضرة، وتفضل الموت، على الطلاق، وتصرخ وهي منهارة:

- اتجوز عليا، بس ما تطلقنيش يا خويا..!

-٢-

الحمـــاة

الحماة في نظر ليلى هي - اللهم احفظنا - الطرف المُراقب في الحياة الزوجية، والطرف المهندس في العلاقات (الرجولأنثوية)، والطرف المشعلل في الخلافات الثنائية، وهي الآمر والناهي بطريق غير مباشر، وهي الطرف المتعنت، والطرف المتحكم، المتدخل، المتطفل.. إلخ

لذلك فإن حياة ليلى بعيدًا عن الحماة حياة سعيدة، وهي أميرة تلك الحياة الأولى والأخيرة، وهي الآمرة والناهية الوحيدة في هذه الليلة.

وهذه النظرة هي نظرة نفسية بحتة، فالأمهات في مصر كلهن نسخة واحدة من بعض - Copy and Paste - كلهن يمتلكن نفس الطيبة، والأمومة، والحنان، والعطف، والسخاء، والإيثار ووو.. لكن ليلى تشعر بفارق ضخم بين أمها وحماتها.

فأمها ست ظريفة، خفيفة، طيبة، ملاك وطالع له جناحين، ودائمًا ذات عقل راجح، وقرارتها صائبة على الدوام، أما حماتها فالعياذ بالله عنيدة، متسلطة، جشعة، طماعة، تحب الامتلاك، والتدخل، والشعللة.

-٣-

العنوسة

كابوس مرعب، وخيالات سوداوية، وهاجس منيل، ووحش مخيف يسمى العنوسة، ويأتي ليعشش في رأس ليلى من أول ما تتم إتناشر سنة، وتبدو عليها علامات الأنوثة، وتدرك إنها مشروع امرأة.

ويصبح الخوف من ضياع قطار الزواج هو الإحساس المسيطر عليها طوال الوقت، وقد تنتابها حالة تشنجات عنيفة كلما صادفت رجلًا، تظهر في صورة تسبيل، وسيحان، وهيام في دنيا الله، مع نوبة إسهال كلامي عن نفسها من عينة: أنا الراجل اللي هتجوزه ده، هخليه أسعد إنسان في الدنيا.

وغالبًا ما يقابل الرجل هذه النوبة بتسقيع شديد، وتنفيض مروع، قائلا: ربنا ينولك اللي في بالك.

وفي بلادنا يوجد تسعة ملايين شاب وفتاة تجاوزوا سن الـ ٣٥ دون زواج، وهم في عُرف القاموس اللغوي تنطبق عليهم كلمة: عنَسَ يعنس عنوسًا، لكن في الوقت الحالي لم يعد السن هو الفيصل، وإنما القناعة الشخصية، أنا شخصيًا أعرف بنات وشباب تجاوزوا هذا السن وليس لديهم مشكلة، وأعرف آخرين وأخريات تزوجوا بعد هذا السن زيجات ناجحة جدًا، وأعرف آخرين تزوجوا في سن مبكرة وكانت زيجات فاشلة.

القصة ليست قصة سن، وإنما قصة نصيب، وقصة إن ساعة من السعادة ولا قرن من الخناق، وقصة أنَّ الرابح هو الذي يحصل على إنسان مناسب له يحبه، ويقدره، ويحترمه، ويصونه، حتى لو حصل عليه في سن الأربعين، والخاسر هو الذي يقع في أرابيزه طرف آخر يمشي على أربع أطراف فيصبح إجمالي الأطراف التي يمشون عليها.. ستة.

والخوف من العنوسة منطقي، فالبنت السوية الطبيعية تحتاج للحب، والحضن، والطبطبة، والحنان، والدفء، والرعاية، وتحتاج للشعور بالأمومة، وتحتاج لأن يبكي وليدها فترضعه من صدرها فيسكت ويبتسم، وتحتاج ليقال لها ماما، وتعشق شعور انتظار الزوج؛ لتطعمه، وتسقيه، وتدفئه، وترعاه، وتكون له سكنًا.

إذن لا نلوم على ليلى خوفها من مرور قطار الزواج، لكن نلوم عليها التعجل، ثم نلوم عليها فقدان الإحساس بنعمة الزواج – إذا جاز اعتباره نعمة – بعد حدوثه، فتبدأ في الخناق، والنكد، والطلبات.

-٤-

قاعدة الرجل في البيت

قعدة الأخ في البيت معناه خناقات ومعارك لا تنتهي، وتجعير، وتكسير كوبايات، ومجاجي (الجمع الذي تستخدمه أمي لكلمة Mug) وحدوث

تدخلات عائلية رفيعة المستوى؛ لكسر رقبة الإتنين، حفاظًا على الأمن العام.

ولقد عاصرت هذه الحالة أيام ما كان عندي أخوات بنات (قبل أن يتزوجن وأصبح قرد قطع) وكانت العلاقة بيني وبين أختي التي تكبرني علاقة طيبة جدًا وفي منتهى الرقة، والاحترام، والتقدير المتبادل، فقد كنت أهوى تقطيع كشاكيل محاضرتها ليلة الامتحان، بعد الخناقات التي تشتد أغوارها في أيام الامتحانات، أو أن أغلق عليها باب غرفتها عندما لا يكون هناك أحد في البيت، وأخرج للعب في الشارع، وكانت أختي من هواة الأعمال اليدوية، تريكوه، كروشيه، حاجات من دي، وكنت أنا أهوى بشدة (كر الخيط) بعد الانتهاء من عمل بلوفر، ولهذا كانت تحب أختي أن تزحلقني من المنزل بأي طريقة، حتى لو كان بالتضحية بربع جنيه لأشتري الحلويات والشيبسي، وأنغنغ نفسي (كان هذا في بدايات التسعينيات).

أما ليلى المتزوجة فياويلها ياسواد ليلها من قعدة جوزها في المنزل.

تقول ليلى دائمًا (ضل راجل ولا ضل حيطة) لكن عندما يقعد الرجل في البيت بلا شغلة ولا مشغلة، تتمنى ليلى لو كانت تبوس كل حيطان الدنيا وتاخدها بالحضن.

فالرجل بدون شغلة ولا مشغلة يعني أوامر (صحيح مراته بتسقع له وكأنها ما سمعتش حاجة، لكن اسمها أوامر) وتعني خناقات وجر شكل، وتعتبر المقهى هي صديق الرجل الصدوق في أيام الأجازات، وبعد العمل،

أو حتى في حالة الرجل العواطلي.

وإذا كانت ليلى لا تطيق رؤية زوجها العواطلي جالسًا في البيت يشرب شاي، ويقزقز لب، ويرمي القشر على الأرض اللي لسه مكنوسة، فإن الرجل يهرع إلى المقهى التي هي مركز الكون بالنسبة للرجال في مصر، والمهرب والملاذ من الحجيم الأرضي الذي يشهده أثناء تواجده بالمنزل.

فالرجل في المقهى يشعر برجولته التي يفتقدها في منزله، أوامره مجابة، ويتصرف بحرية، ويشاهد ما يشاء في التليفزيون من الكليبات البريئة مثل هيفاء وهبي، ودوللي شاهين، وماريا العب العب العب، دون أن يفاجأ بزوجته تحملق في وجهه، وعلى وجهها نظرة تنين أوشك على إطلاق اللهب من فمه.

-٥-

الدورة الشهرية

وتنتاب ليلى حالة اكتئاب قبل الدورة الشهرية، وتحدث في جسمها حرب الهرمونات من استروجين، وبروجسترون، وهرمون إف.إس. إتش، وهرمون إل.إتش وخلافه، ويصبح جسدها ساحة للحرب الكيماوية، التي تجعل روحها في مناخيرها.

وقد تجتاحها نوبة توتر عنيفة قبل بدئها، ولا تستطيع تأدية عملها

بشكل جيد، أو الاستمتاع بحياتها الشخصية، ثم بعد ذلك تختفي هذه الأعراض، وتزول قبل بدء الدورة بأيام قليلة، وعندها تعود المرأة إلى حياتها الطبيعية، وتم تفسير حالة اكتئاب ما قبل الطمث أنها بسبب تلك التغيرات الهرمونية.

ومن الأعراض المصاحبة لحالة الاكتئاب التي تحدث في فترة ما قبل الدورة الشهرية، هو الشعور بالغضب، وتعكر المزاج، والعصبية الزائدة، واضطراب التركيز، وشعور بالتوتر والقلق، وفقدان القدرة بالاستمتاع بالأنشطة المعتادة، وفقدان القدرة على السيطرة على الذات.

ويبدو أن العالم المسكين الذي اكتشف هذه الحقائق لم يتعامل مع امرأة مطلقًا، فلو كان خَبيرًا بأمور ليلى، لأدرك أن هذه الأعراض تحدث طوال الشهر، بل وتظهر بوضوح في آخر الشهر عند انتهاء مرتب الزوج.

-٦-

سن اليأس

تدخل ليلى الأربعينيات بخطوات ثقيلة متوترة، تكثر فيها النظر بقلق إلى المرآة لمتابعة أي تغيرات تظهر عليها، كما تكثر من مشاهدة صور الخطوبة والجواز.

كان يقال قديمًا أنَّ المرأة تكبر بسرعة أكثر من الرجل، فيبدو الرجل ذو الخمسة وخمسين سنة كتكوتًا صغيرًا وهو يمشي بجوار زوجته أم أربعة وأربعين سنة.

لكن بعد اكتشاف عمليات التجميل، أصبحت ليلى زي القطط بسبع أرواح، يكبر الرجل، ويعجز، ويبدو أنه يلعب في الـ ١٤٠ سنة، في حين تكون ليلى تكون في أوج شبابها وتألقها، وتبدو دائمًا كما لو كانت في العشرينيات حتى لو تجاوز عمرها الستين، بفضل عمليات الشد والتجميل، ولكم في نبيلة عبيد، ومعالي زايد، وميرفت أمين.. أسوة حسنة.

حتى لو لم يكن سن اليأس توقيتًا فارقًا وقاطعًا، ولا يبدو للمشاهد فرق واضح بين ليلى بنت الأربعين، وليلى بنت الخمسة وأربعين، حيث تكون ليلى قد زهدت في إنجاب الأطفال (غالبًا بتكون خلاص خلّفت أورطة عيال) إلا إنها تتذكر بشدة تلك الأيام التي كانت فيها مقبلة على مرحلة الأنوثة الطاغية، وكانوا ينادونها بـ "ياعروسة".

يأتي سن اليأس، وتنقطع الدورة الشهرية، وتتوقف ليلى عن الإنجاب، ويبدأ الرجل في التململ، فلو وجد حجَّة مثل: أنا نفسي في الولد.. كان ذلك إيذانًا له بالندالة والزواج من أخرى تأتي بالولد، وإن لم يجد الحجَّة فإنه يمارس الدنيئة سرًّا، بحجة وهمية، وهي: "أنا لسه شباب، وهي عجزت".

في حين لو كلف خاطره، ونظر إلى المرآة، لحمد الله أنها لم تتزوج عليه، وأنه لا يزال على قيد الحياة، ويحيي العظام وهي رميم.

-٧-

الطلاق

انفصال الرجل عن المرأة يوصم المرأة في المجتمعات الشرقية بعارٍ ما، ربما ليس لها ذنب فيه، لذلك فإن ليلى بطبيعتها تخشى الطلاق وترهبه، حتى لو كانت حياتها الزوجية جزءًا من الجحيم.

إلا أنَّ انطباق هذا الكلام عن الزمن الحالي ليس صحيحًا بدرجة كبيرة، فالمجتمعات المنفتحة المشوهة التي تكيل بمكيالين، أنتجت جيلًا من الليلاوات أكثر جرأة، لا يخشى الطلاق، ويراه أهون من العيشة المرار التي تحياها ليلى مع رجل غبي.

أما في المجتمعات الريفية فالطلاق صعب، وربما مستحيل، وعيب الشوم، أسباب الطلاق قليلة أو منعدمة، فالحياة رغدة في جميع الحالات، حتى لو كان الزوج فقيرًا، فاللحمة، واللبن، والبيض، والفراخ، متوفرون على أقل تقدير، وإن لم يكونوا متوفرين فالجبنة القريش أكلة هنية، مغذية، تنم عن بيت عز.

البندر وشه مكشوف، الخناق مستمر، والصويت والزعيق في البيوت

أمر طبيعي، والطلاق أزمة لا تستمر آثارها النفسية طويلًا، ولا يستغرق قرار الطلاق، أو طلبه مجهودًا كبيرًا.

-٨-

الإهانــة

ليلى كائن لطيف، خفيف، ظريف، رقيق المشاعر، خجول، جم الأحاسيس.. هكذا يقول كتالوج النساء، رغم أن الكثير من الليلاوات لا تنطبق عليهن هذه المواصفات القياسية.

الرجل كائن فظ، خشن، تكونت على مشاعره طبقة جلدية سميكة، يشتم بسهولة، ويُشتم بسهولة أكثر، ويتعرض لمعارك في العمل، والبيت، والمواصلات، ويأكل الضرب في طابور العيش.

لذا فمن الطبيعي أن أقل إهانة للبنت تسبب جرحَ أحاسيسها ومشاعرها السامية، بينما الرجل يصف الشخص الذي تُجرح مشاعره بإنه: عامل زي النسوان.

إلا أن الإهانة تختلف من مكان لآخر، فهناك المرأة التي تعتبر أنَّ الرجل الذي نسى أن يقول لها صباح الخير.. مجرم، سفاح، قاتل، لا يستحق الحياة، أهانها، وجرح مشاعرها. وهناك المرأة التي تغضب أن زوجها قد شتمها وضربها في الطريق العام، و لم ينتظر حتى يذهبا إلى المنزل.

وما بين هذه وتلك، يختلف مفهوم الإهانة بشدة من امرأة إلى أخرى، فهناك المرأة الظريفة التي لا تعتبر أن خلافات الحياة اليومية لا علاقة لها بالكرامة، وإنما الحياة هات وخد، وكون الرجل غلط بكلمة ده لا يعني إهانة، وإنما عشم وعشرة عمر، وهناك من تضع خطوطًا حمراء طوال الوقت.

-٩-

الـ Sweet

في البلاد العربية، وخاصة مصر، لا يتم الحديث في مثل هذه الأمور على الملأ، وتعاني ليلى من أسمى لمحات العذاب السويتي أثناء عملية نزع الشعر، وهي العملية اللازمة لإثبات تمام الإنوثة (ولو إني أعرف مطربين يمتلأ جسمهم بالشعر ولا يمتون للرجولة بصلة).

وكانت هذه الغريزة واحدة من أهم حيثيات البيزنس، فانطلقت الشركات العالمية والمحلية في ابتكار وسائل أقل إيلامًا، وليلى بحكم عشقها للشوبنج فقد لاقت جميع هذه الوسائل - الناجحة والفاشلة - رواجًا هائلًا في مصر.

-١٠-

التخـــن

التخن من المآسي طويلة الأمد، التي لا تأخذ وقتها وتخلص، زيها زي الدورة الشهرية أو السويت، لكنها زي الضرة والحماة لا تنتهي إلا بمجهود جبار.

ومنذ سنوات ظهر نوع جديد من الأطباء يسمى دكاترة التخسيس، وهم في الحقيقة أقرب لمدربي التنمية البشرية، الذين يبيعون كلامًا لغريق يتعلق بقشة، وفي النهاية يجد الغريق نفسه - وهو يغرق - أكثر سمنة.

وليلى تراقب وزنها بحرص وقلق، فهي قد زادت تلاتة كيلو في الخمسة شهور السابقة، وهذه كارثة تستلزم التحرك السريع (عكس الرجل الذي يزيد التلاتة كيلو في أكلة كوارع واحدة دون حدوث أزمة) فتبدأ بمتابعة برامج المرأة، ومطالعة أحدث برامج التخسيس العالمية، واستشارة الليلاوات اللواتي مررن بالتجربة، والذهاب إلى طبيبة التخسيس، التي غالبًا ما يزيد وزنها عن الـ ١٢٠ كيلو.

فتيات مرُّوا من هنا

حبة خيالات، وجراح، وذكريات

فتاة التليفون

كلما رفعت السماعة، ووضعتها على أذني لأستمتع بدفء حرارة التليفون التي أفتقدها كثيرًا في حياتي الباردة، تفاجئني امرأة في مقتبل الثلاثينيات بصوتها البارد الرسمي لتدعوني قائلة: "ضع السماعة من فضلك".

وطوال أكثر من عشر سنوات كنت أسمع الكلام..

أرفع السماعة، فتأمرني بوضع السماعة، فأضع السماعة بسرعة البرق.

فأنا رجل ممن يطيعون أوامر النساء، وأنا مواطن صالح، أسمع كلام الحكومة، وأنا أعتبر أن هذة الفتاة جاية من طرف الحكومة، وهي فتاة جميلة لها الأمر والنهي.. ماشوفتهاش، لكن صوتها يؤكد ذلك.

ثم..

ماذا لو حدث وقابلتها يومًا، ماذا ستكون نظرتها لي وأنا الذي كنت أتجاهل كلامها دائمًا، ولا أضع السماعة، ربما تقع في حبي، أو أقع في حبها، وبدلًا من أن نصير لبعض يصبح الماضي المُخجِل سببًا في إنهاء هذا الحب اللدود.

"ضع السماعة من فضلك"

ذات يوم، وأنا أسرع بوضع السماعة، جاءني ذلك الخاطر الرهيب.

لَمَ لا؟

لماذا لم أفكر في مقابلتها يومًا؛ لأرى حكاية تلك الفتاة التي لم تمل أبدًا من إعطائي الأمر بوضع السماعة..

ربما تكون فتاة معذبة في حياتها، وحيدة، وتحتاج لمن يساعدها في دعوة الناس لوضع السماعة.

ربما تكون زوجة تعيسة، لم يزرقها الله بالأطفال، فشغلت نفسها بموضوع السماعة، وربما تكون فتاة رقيقة تعرفني في الحقيقة، وشعرت ناحيتي بشعورٍ ما، ففضلت أن تعاكسني بأسلوب جديد، فتحدثني كلما اقتربت من التليفون على وضع السماعة خوفًا من أن أتصل بفتاة أخرى.

اليوم، واليوم فقط، قررت أن أقابل فتاة السماعة، وأن أعرف قصتها،

وما يخفيه صوتها الذي حاول دائمًا أن يكون مرحًا، لكنه ورغم ذلك يأتي ومعه الكثير من التوتر والانفعال.

اقتربت من التليفون، وتأملته قليلًا في صمت، وتحسسته في خجل، ثم رفعت السماعة.. واستمتعت قليلًا بدفء الحرارة قبل أن يأتي صوت فتاة الجميلة "من فضلك ضع السماعة"

صمت ووضعت كفي على السماعة؛ حتى لا تسمع أنفاسي المترقبة، فزادت بصوت أكثر حدة "من فضلك ضع السماعة" رفعتُ كفي من على السماعة وقربتها من شفاهي، وهمست في هدوء خافت "مساء الجمال"، فصمتت فتاة السماعة قليلًا، ثم ردت في دهشة: "من فضلك ضع السماعة" فأجبتها في هدوء:

- حاضر، بس ممكن أتكلم معاكي شوية؟

فزادت دهشتها، ورددت جملتها: "من فضلك ضع السماعة"

فابتسمتُ وقلتُ لها: حاضر، بشرط.. ممكن أقابلك؟

ولم ترد، وكأن جملتي فاجأتها، ثم عاودت ترديد جملتها في صوت أكثر خجلًا: "من فضلك ضع السماعة"

آثرتُ الصمت..

فقالت بصوت أكثر حدة:

- اقفل من فضلك بقى.

فقلت لها:

- أشوفك بكرة الساعة ستة مساءً في جروبي، هتكوني خلصتي شغلك؟

ساد الصمت طويلًا ثم قالت فجأة:

- حضرتك عايز تشوفني ليه ؟

ابتسمتُ في انتصار، وقلتُ: هتعرفي لما أشوفك!

كان جروبي - الذي يقف حارسًا على ميدان طلعت حرب منذ عشرات السنوات - هادئًا كالعادة، و لم يقطع هدوءه سوى طرقات كعب أنثوي تسير في دلال وتردد، وتأتي من خلفي وتقترب أكثر فأكثر.

ثم أصبحت الخطوات بجانبي، وشعرت بكفٍّ رقيق يوضع على كتفي صوت فتاة السماعة المميز يهمس: "إنت أحمد؟"

أدرتُ رأسي، ونظرتُ لها مبتسمًا، وأمسكت كفَّها الرقيق، وأجلستها في الكرسي المقابل لي.

كانت جميلة، ذلك الجمال الهادئ المحبَّب إلى كل رجل، تطل من عينيها نظرة أسطورية، تشع ذكاءً وعبقرية، وتحمل من الإنسانية والرقة ما تنوء بوصفه الكلمات والسطور.

طلبتُ مشروبًا لها ولي، نَظرتْ لي في اهتمام، وأطلت من عينيها نظرة فضول ذات مغزى.

- هقولك حالًا أنا طلبت أشوفك ليه، لكن تسمحي لي أسألك سؤالَ؟

نظرت في تطلع صامت:

- هو أنا أول حد يطلب يقابلك؟

ظهرت نظرة أسى في عينيها فقلتُ:

- طب هو إنتي حبيتي قبل كدة؟

لم ترد في خلال ثواني فبادرتها بسؤال آخر:

- طب إيه أغرب موقف حصل لك خلال عشرات السنوات من عملك كفتاة سماعة؟

لم ترد فقلتُ:

- ليه حاسس بنظرة حزن في عيونك؟

فجأة تساقطت من عيونها دمعة ساخنة مسحَتها بيديها، ثم أخذتْ تتحدث في شبه همهمة حزينة عن الرجل الذي كان يسهر كل ليلة حتى الفجر يستمع إلى جملتها، وإلى الشاب الصايع الذي كان يتحرش بها تليفونيًا، وإلى الفنان الذي ظل طوال سنوات يبتدع لحنًا لجملتها فغناها

عشرات المرات بألحان مختلفة، وطلب منها أن تصدر ألبومًا غنائيًا بصوتها.

وعن العاشق الذي كان يدعي أن صوتها يشبه صوت حبيبته المفارقة، وعن تلك المرأة اللعينة التي كانت تحيل حياة أسرتها نكدًا وجحيمًا وكانت تصب عليها اللعنات كلمها سمعت جملتها.

وعن الطفل الذي كان يفتقد معاني الأمومة، والحنان، والدفء الأسري؛ بسبب انشغال أبيه بجمع المال، وأمه بعشق رجال آخرين، فكان يلجأ إلى السماعة كل مساء؛ ليستمع إلى صوتها الذي وجد فيه الحنان، والأمان، والحضن.

وحكت لي عن ذلك الشاب الذي أحب زميلته في العمل، وحصل على رقم تليفونها، وكان يأتي كل مساء فيغلق باب حجرته، ويحتضن التليفون في هيام، ويرفع سماعته، ويقرأ رقم التليفون، ثم يستعد للاتصال بها، ليعلن لها عن حبه ويطلب الارتباط بها رسميًّا، لكنَّ التردد كان يغالبه فيغلبه..

وكانت فتاة السماعة تصبر عليه كثيرًا، وتتأخر في ترديد رسالتها (ضع السماعة من فضلك) لعله يتخلى عن تردده، لكنها في النهاية تضطر لأن تأمره بالأمر الأبدي بوضع السماعة، فيسرع في خجل، وإحباط، وضيق بوضعها، ثم يذهب لينام، ليأتي في اليوم التالي ويعاود الكرَّة، حتى جاء اليوم الذي عرف فيه أن حبيبته تزوجت بعد أن يئست منه.

صمتت فتاة السماعة، وعاودت دمعة ساخنة في الفرار من عينيها، لتستقر على الأرض.

ثم قامت في حزن وبدت كما لو كان عمرها عشرة آلاف عام، وخطت في خطوات مثقلة إلى الباب، ثم نظرت لي نظرة وداع، واتجهت مسرعة إلى الميدان الذي يقف فيه طلعت حرب حاملًا أوراقه منذ عشرات السنين، وسرعان ما اختفت بين جموع البشر الذين يتحركون في شوارع مصر في حركة رتيبة.

فتاة الكشري

كان الوقت قد تخطى منتصف الليل بدقائق، عندما دخلتُ مطعم الكشري في تلك المنطقة الهادئة الخالية تمامًا من البشر، وكان المطعم خاليًا إلا من فتاة جميلة في العشرينيات، كانت تمارس "ضرب الكشري" في نهم، وكان يبدو أنه الطبق الثاني وليس الأول، وعندما رأتني تحول النهم إلى خجل، وهدوء، و"ضرب كشري" على استحياء.

نظرتُ بعيدًا عنها حتى لا يزيد خجلها، وجلستُ على مائدة في مواجهتها، وكنت أتحاشى النظر إليها إلا "بطرف عيني" فكانت تنظر لي من آن لآخر نظرة ذات مغزى، لكنني لم أكن أفهم ذلك المغزى.

سرحت بخيالي.. ياترى ما قصة هذه الفتاة التي تتناول الكشري في تلك المنطقة الهادئة جدًّا.. وفي ذلك البرد القارص، وبعد منتصف الليل؟ هل اشتاقت فجأة للكشري كما حدث لي؟ هل كانت آتية من عمل، وعرَّجت على محل الكشري في تلك الساعة المتأخرة من الليل، أم أنها

تعاني مثلي من الوحدة فآثرت أن تسد رمقها بكشري بدلًا من دخول المطبخ المزعج.. انتبهتُ من خيالاتي، عندما فوجئت أن الفتاة قامت في هدوء تتجه نحوي.

اتَّسعت حدقتاي..

وحدقت في خطوتها الأنثوية الخجلة نحو مائدتي، تخيلتها تطلب التعرف عليَّ، وأننا في السبيل إلى قضاء سهرة رائعة، وتخيلتني أعاملها بلطف، وتخيلت احتمال أنها ربما ليس معها نقود، وأنها تحتاج لنوبة كرم من شخص يعزمها على وجبة الكشري، أو أنها تحتاج لشخص يقوم بإيصالها إلى منزلها في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وتلك الشوارع الخالية من الناس بفعل برد الشتاء القاسي..

وبرز أمام خيال شيطاني اللدود ليمارس عمله التقليدي، فأوهمني أنها "فتاة ليل" وليست "فتاة كشري" وأنها تبغي رجلا ليكون "كمالة" لتلك الليلة العجيبة.

إلا أنني شعرتُ بشبه صدمة، عندما طلبت "إزازة الدقة" في رقة وخجل فقلت في أدب وخيبة أمل:

- طبعا، اتفضلي حضرتك.

فتناولت "إزازة الدقة" واحتضنتها في عشق غذائي وأنوثة طاغية، وانطلقت نحو مائدتها، وأخذت تصب بعضًا من الدقة، واستمرت في

النظر المختلس إليَّ من آنٍ لآخر، وأنا منهمك في ضرب طبقي ضربًا مبرحًا حتى أتيت عليه.

أخرَجتْ من شنطتها الصغيرة منديلًا، ومسحت شفتيها الملطخة بالصلصة، وجاء عامل الكشري، ويبدو أنها طلبت (طبق حلو) لم أكن أكلت طبق حلو في محل كشري في حياتي.

وكانت تجربة فريدة أن أطلب مثلها طبقًا من الأرز باللبن، وأنهل من ضياه، ولازالت آثار الكشري المفعم بالشطة تحتل فمي، تذكرت وأنا أنظر إلى شعرها الأسود المنسدل كتاب (أرز بلبن لشخصين).

غادَرَتْ محل الكشري في رقة ولطف، وتركتْ في المحل طيفًا ظل يحلق في سمائي قليلًا إلى أن انتهيت من المعركة ونسيتها، أو تناسيتها، وقد قررت الذهاب إلى الكافيه؛ لتناول كوب ساخن من حمص الشام، أو كما نسميه في بلادنا.. الحلبسة.

الغريب أنني عندما ذهبت إلى الكافيه لتناول ذلك الكوب الساخن من حمص الشام الحلبسّي، ارتعش نفس الكوب في يد (فتاة الكشري) عندما رأتني أمامها في نفس ذات الكافيه.

وأدركتُ أنه كما أنَّ لليل محبينه، فإن للكشري وحمص الشام الساخن محبينهم أيضًا.

أنـا

ألبوم شخصي

حبة موغات

(من الأدب العيد ميلادي)

كانت ليلة مشهودة، حين أتوا بي من حيث الدفء، والهدوء، والأنتخة، وألقوا بي عاريًا في طريق الحياة البارد، أعتمد على نفسي في التنفس، وفي هضم الغذاء بعد أن كان يأتيني مهضومًا على الجاهز، بل وفي إعداده، وهي المهمة التي ظلت شاقة حتى الأن.

ياه.. هل الحياة في حاجة إلى بني آدم جديد، يملأ الدنيا صراخًا، وزعابيبًا، وأذى في خلق الله، ويلوث البيئة؟

كنت أنا الولد الوحيد، ديك البرابر، الذي طال انتظاره، على ثلاث بنات، بذلت أمي في خلفتهن مجهودًا كبيرًا، ثم قررا - أبي وأمي - نسيان موضوع الخلفة، بعد مرور سبع سنوات على آخر خلفة البنات، والتركيز على التخلص منهن بسترتهن في بيوت أزواجهن.

ثم أتت المفاجأة مع بدايات عام ١٩٧٩ حين أخبرت الدكتورة أبي أن المدام حامل، وظل أبي طيلة تسعة أشهر، يحلم بالمولود الجديد على أحر من الجمر.. عسى الله أن يأتي بالولد، ثم.. وعلى حين غفلة من الزمن.. أتيت أنا.. واضعًا رِجل على رِجل.

لم أر وجه أبي حين أخبرته (الداية) بأن ربنا قد رزقه بالولد، و لم يوافني الحظ أن أسأله هذا السؤال، لكنني متأكد أنه كان يمر بلحظة نشوة وسعادة عارمة، وهو الذي طالما حلم بالولد الذي يرفع رأسة بين أهالي المنطقة!

وانقسم الرأي في يوم مولدي إلى قسمين: رأي يرى أنها مأساة بكل المقاييس، ورأي يرى أنه أعظم حدث شهده التاريخ، والرأي الثاني هو رأيي أنا فقط.

تقول أمي أنني كسرت حاجز السنتين في الرضاعة.. ومعروف أن الإنسان الطبيعي إن زادت فترة رضاعته عن سنتين، فإنه يصاب ببلاهة ما، لكن ربنا ستر و لم أصب بالبلاهة، واكتفيت بحبة عبط على خفيف.

ولقد كان مولدي قبيل الفجر بلحظات، ولذلك نشأت أحب الليل والسهر، وكانت أمي تعشق الموغات، وكنت أعشقها جدًا، ويقال إنني كنت بشرب الموغات وأنا لسة مولود، وتوحمت أمي فيا على العنب والبطيخ، ولذلك أعشق التهام العنب الأحمر والبناتي، وأكل البطيخ، ونحت القشر كما البط البلدي.

وفي رواية تقول إنهم كانوا مصرين على إعطائي اسم (عبد السلام)،

إلا أن أختي حبيبة قلبي، وملاكي الحارس (غادة) هي التي صممت على اسمي، وقالت يا إما أحمد لابلاش.

وفي رواية أخرى تؤكدها جدتي لأبي – الله يرحمها – التي ماتت عن عمر يناهز المية وأربعين عامًا، أنني ولدتُ أخضر العينين، أصفر الشعر، شاهق البياض، وردىّ الخدود.. وعن تفسير التحول المفاجئ في خلقتي يُقال إنني بعد الولادة مباشرة، وبمجرد استنشاق هواء مصر النقي، وأكل العيش البلدي المدعَّم صار حالي هكذا.

وتروى أحاديث تاريخية عن حب والدي الأسطوري لي، وعن الدلع الذي لم يشهده طفل في كتب تاريخ الأطفال، لدرجة أن أحد الرويات تقول، أن أبي ظل طوال الثلاث السنوات يلاعبني بصورة متصلة دون أن ينام، وكانت أقصى أمانيه أن امنحه ابتسامة، أو ضحكة طفولية صغنونة.

و لم يمهلني القدر أكثر من الثلاث سنوات، ومات أبي..

كان مصابًا مزمنًا في القلب، ودخل لعمل عملية في قلبه المريض، وخرج محمولًا إلى مثواه الأخير، دون أن أراه وأمنحه الابتسامة الطفولية الصغنونة.

وبعد رحلة كفاح أسطورية استطاعت أمي أن تربي التلات بنات، والولد الذي أصبح طويل القامة، وارتدى نظارة بفعل عوامل التعرية.

وهناك عدة لحظات في حياتي، تظل تتردد أمام عيني كشريط ذكريات سينيمائي:

١- اللحظة التي سألني جارنا: عندك كام سنة يا أحمد؟ فشددت قامتي ورددت في ثقة: تسع سنين.

٢- اللحظة التي تركتني أمي أمام باب المدرسة في أول أيام أولى ابتدائي.

٣- اللحظة التي أمسكت (نهى) فيها بيدي، وكانت الأنثى الأولى التي تمارس هذا الفعل.. وكان هذا في تالتة ابتدائي؛ عشان دماغكم ما تروحش بعيد، وأمسكت إيدي بحنان ورقة بحجة (قوم عشان نلعب)

٤- لحظة دخولي الجامع لأول مرة، مع عم (محمد حمزة) جارنا، وصديق أبي الله يرحمه، وكان في صلاة الفجر، وكنت منبهرًا انبهارًا شديدًا.

٥- لحظة دخولي استاد القاهرة لأول مرة، وكان ممتلئًا عن آخره، وكان ذلك في أولى ثانوي.

٦- لحظة أول بوسة من فتاة، وكانت من (مروة) ، وكنت وقتها في رابعة ابتدائي، وكانت هي في الثانوية، وباستني بحجة إني كنت بعيط، شوف يا أخي دلع البنات!

٧- لحظة مشاهدة جثمان ميت لأول مرة، وكان ذلك وعمري حوالي عشر سنوات، وكان الميت يبتسم بوضوح.

٨- لحظة الصفع بالقلم لأول مرة، من أبلة (زنوبة) مدرسة العربي، والدين، والحساب في تانية ابتدائي، بس بعد كدة بقى عادي.

٩- لحظة دخول السينيما أول مرة، ورؤية الشاشة الكبيرة، وكانت سينيما (فونتانا) الصيفي بالمعادي، وكان فيلم شادر السمك.

١٠- لحظة الحصول على أول مرتب في حياتي، وكان ذلك في أواخر عام ٢٠٠١، والغريب إن المرتب خلص بعد ربع ساعة.

١١- لحظة ما نميت تلاتين سنة فجأة.

من الجميل أن يعيش البني آدم مننا، بعقل راجل، وقلب طفل، ويعمل عبيط، ويصدر الطرشة للهموم، ويطفي الشمع زي ما انا بعمل دلوقت، على أن ينفخ جامد حتى يستطيع إطفاء تلاتين شمعة.

خـالـو أحمد

في أحد أيام رمضان من عام ١٩٩٠ كنت أمارس التشرد الأطفالي مع عيال الحتة، كنا نلعب كرة أربعة بأربعة، وكان دكان عم عبد الناصر - الله يرحمه - هو المرمى، وأنهكنا اللعب، وافترسنا العطش، فدخلت لأستسلم للنوم فترة العصاري، وأيقظوني من النوم قبل الفطار وقالولي: قوم.. أختك ولدت.

شايل الهم من صغرك يا خالو أحمد يا عسل.. حمَّال الهموم يا صغير..

توالت الولادات بعد ذلك، ما بين الصبيان والبنات، إلى أن أصبحت خالًا (لأورطة عيال) جميعهم لا يراني حتى ينفجر في سعادة هاجمين كالتتار: خالووووو جه.. هيييييييه.

لم تكتمل طفولتي حتى أصبحت مطالبًا أن أمنح العيديات، وأن ألاعب البيبي، وأعطيه اسم دلع (بالمناسبة كنت أسميهم بأسماء رقيقة مثل

زلنبوخ، وأبو رقبة، والعضاض، وزئردة، وكشّح، والعُورة، وشلاليتو) وأن أهنن الأطفال قبل أن أُهنن، وأن أشتري اللعب في الوقت الذي كنت بحاجة لمن يشتري لي اللعب.

لكن سيبك إنت.. كنت خال مجدع، ضحوك، وصبوح الوجه، رقيق المحيا، أداعب الأطفال كالنسمة، فمثلا كنت أداعب أسماء بنت أختي بدلق حلة مية ساقعة فوق رأسها، وكنت أداعب إيمان بوضع تلت قرون فلفل أحمر مشطشط في فمها، وأجبرها على المضغ، وكنت أداعب عبد الرحمن بوضع كيس بلاستيك حول رأسه، وإغلاقه حول رقبته ليختنق عدة لحظات، أما الأطفال الصغار الأبرياء قبل أربع سنوات، فكنت أراعي أن أكون رقيقًا معهم بزيادة..

فمثلًا: سمية كنت ألسعها بكوباية الشاي، وروضة كنت أهوى شكها بدبوس في ذراعها، وإسلام عندما كان في سن الخامسة كنت أحمله من أذنه كالأرانب.

إلا إنني عبر السنوات الطويلة، كنت مصدرًا للسعادة لهؤلاء الأورطة، ولا أدري السبب في تلك الظاهرة العجيبة، فأنا خالو الذي يستولي على الشيبسي عنوةً، وأنا خالو الذي يعض ويلسع، ويخطف الساندوتشات، ويحمل الأطفال من أذنهم كما الأرانب، وأنا خالو الذي يحيل السيارات والعرائس والدباديب إلى أشياء مشوهة، لا تمت إلى اللعب بصلة، إلا أنني دائمًا كنت محط أنظار تلك الفئة الضالة من الأطفال.

ثم شيئًا فشيئًا زاد ارتباط العيال بي..

فكنت ألاحظ أنهم يرددون كلمة خالو بطرق عديدة، خالوو.. خلخول.. خلاخيلو.. ثم يحيلونها إلى فعل، وصفة، وحال، وحرف جر، ويحورونها، ويكورونها، فمثلًا:

العبوا قبل ما خالو يجي يخالو علينا.. أي يمارس الرزالة علينا.

وتارة يجعلونها صفة..

الراجل ده خالو أوي.. أي شديد الشبه بخالو أحمد .

وأنا كرد فعل مضاد على هذا العبث بكلمة خالو، فقد أنشأت معجمًا يحتوي على مصطلحات مضادة، كالتالي:

مخلول هو ابن الأخت، **مخلولة** هي بنت الأخت.

مخاليل هم أبناء وبنات أخواتي، وهي لفظة على وزن مهابيل.

مآخيل هي أدوات وطرق التعذيب التي أستخدمتها ضد المخاليل مثل: اللسع بكوباية الشاي السخنة، والعض في المأخلة.

مأخلة: هي مكان طري في الجسم يحلو العض به - مع وضع منديل عليه قبل العض..

خلاوس: هي هلاوس تصيب المخاليل أثناء النوم، حيث يحلمون بخالو يعضهم في المأخلة، ويقومون مفزوعين هم ماسكين بمآخيلهم.

متخيلل: أي وُلد له خال.. حيث تكون الجدة صغيرة السن، وتعمل عملتها وتجيب للعيل خال.. ويقال: الواد هيثم اتخيلل إمبارح ومش هيلعب معانا النهاردة.. أي أن جدة هيثم وِلدت، فأصبح لهيثم خال رضيع.

مخلل: أي يذهب كثيرًا لزيارة الخال، ويستولى على طعامه، وشرابه، وفلوسه، ويظل عدة أيام ماكثًا في أرابيز الخال، ومن هنا اشتق لفظ مخلل الذي يؤكل ويقال: إنت هتفضل مخلل عندنا كتير؟

التخلخل: هي فن ممارسة الكبت على المخاليل أثناء الإجازة الصيفية..

وذلك بالاستيلاء على مجلات ميكي، وسمير، وماجد، وتان تان.. لقراءتها وحرمان المخاليل منها.

مخيول: وهو المخلول المبقوق من خالو، حيث أن خالو شخص مُضطهِد رزيل، لا يأتي بالـ Games الجديدة، ويحتل الكمبيوتر، ويستولى على مجلات ميكي، ويعض، ويلسع، ويعذب المخاليل بلعب أتاري الطيارات والغواصات القديمة التي يكرهها كل الاطفال.

الخليل هو صديق خالو، وهو غالبا خال أيضًا..

حيث يقال المرء على دين خليله، ويقال في الأمثال الشعبية الواد لخاله.

وعلى مدار سنوات الدراسة في الثانوية والكلية وما بعدها، كان هناك

يومًا في الأسبوع هو يوم اجتماع الجميع في بيتنا، الذي هو بيت العائلة، فتأتي أخواتي من كل فجٍ عميق، منهم من يحمل أولاده على كتفيه، ومنهم من يجر جرهم وراءه، ومنهم من يحمله في بطنه، ويأتي المخاليل، يأتون أفرادًا أو في جماعات، يأتون على قدمين أو على أربع، أو على رِجل واحدة محنجلين، يحملون الألعاب، والطيارات الورقية، وأكياس الشيبسي، الدوبارة والكلة لزوم صناعة الكورة الكلة، أو الدوبارة وأوراق الجلاد لزوم صناعة الطيارة الورق، أو العصيان الخشبية والجلاد الملون لزوم صناعة فانوس رمضان.

كان لعدة سنوات يوم الجمعة، ثم صار يوم الأحد، وألغي لعدة سنوات أخرى، ثم عاد ليكون يوم السبت، ثم في فترات الولادة يأتي المخاليل من كل فج عميق لزيارة الأم والمخلول الجديد، الذين ينزلون ضيوفًا في منزل العائلة، حتى انتهاء فترة (النفاس) أكون خلالها قد شربت طنًّا من الموغات، والاستيلاء على كل ألوان الطعام والشراب التي تصنع خصيصًا للوالدة.

وفي يوم التجمع الأسبوعي تشهد عودتي - من الكلية أو العمل - حالة من الثورة الشعبية، والانفلات الأمني غير المسبوق بين جماهير المخاليل، وغالبًا يقف مخلول (ناضورجي) على الباب لاستطلاع الأمر، ثم عندما تظهر آثاري من على البعد، يهرول لتنبيه باقي القبيلة بأن: خالو أحمد جيييييه.

وتنطلق جموع المخاليل كالهكسوس، من كل فجٍ عميق؛ لاستقبال

خالو أحضانًا، وبوسًا، وشعبطةً، وشلاليت، وأجد نفسي مهيص الجناح، بين أفواج المخاليل، اللي بيبوس، واللي بيضرب، واللي بيزق؛ سعيًا لأن أقع حتى أكون لقمة طرية، ومن يضع في فمي صباع موز، أو حتة بطيخة، ومن يحاول خلع الجزمة والشراب، ومن ذهب ليبلغ السلطات العليا بمجيئي.

وأحيانًا..

- هندهلكم خالو أحمد..

- استخبوا يا عيال.. خالو أحمد جاي.. خالو أحمد جاي.

- خبو الحاجات المكسورة بسررعة ياعيااااال.

- وشيلو الورق المقطع ده.

- خالو أحمد طالع.

- طاااخ طاااااخ

عااااااااااااااااااااااااااااااااااا

- معلش يا خالو، مش هنعمل كدة تاني.

- مين هيتعض النهاردة؟ عايز أعض عضة صغنونة .

- عااااااااااااااااااااااااااااااااا

- اجروا يا عيال، خالو جاي يعُضنا.

أمسك بفريسة.

الكل بيرقع بالصوت حزنًا على الضحية، ويحاول الدفاع عنها مستميتًا بحذر.

أحيانًا أترك الفريسة، وأمسك بأحد المدافعين

- الحقوا يا عيال.. خالو مسك مريم.

- طب ياللا ننقذها.

- لا يا عم، واحنا مالنا، ياللا احنا ننفد بجلدنا.

وأحيانًا يلتف شعب المخاليل حولي، في دائرة مصتتة في شغف لحكايات أخترعها من نسج خيالي وقريحتي، لحيوانات وبشر وأماكن، في أحداث متداخلة وغير منطقية، فمثلًا تجد أن جميع الحيوانات في القصة تتكلم بطلاقة، الكلب يتكلم، الأسد يتكلم، الفيل يتكلم.. وهاتك يا رغي طول الحكاية، بينما لا يتكلم الثعلب.. ثعلب ويتكلم إزاي.. إذا كان ده حيوان.

ثم أن الحياة لا تبتسم على طول الخط، فأحيانًا أنقلب فأصير كالتنين الذي ينفث لهبًا من فمه، فتحمر عينيًا، وتنقلب شفتيًا كفردة الشراب، ويقف شعري كالقط الأسود، وأصرخ كديناصور يعاني من إمساك،

وأنهال بالضرب على مخلول، تأديبًا وتهذيبًا وإصلاحًا، متكفلًا بما لا تستطع به الأم المسكينة (عندي أخت دائمًا ما تصف ابنها بفرعون).

فالمخاليل الذكور دائمًا شريرون، جبابرة، متشردون أكثر من اللازم، يحتاجون لمن يقهرهم، ويكسر رقبيهم، ويذلهم، وأقوم أنا بهذا الدور في كثير من الأحيان، فعندما تنهار الأم تصرخ: يا خاااالو أحمد!!

ويأتي خالو أحمد حاملًا شباشب، ومُلل سرير، وأحزمة جلد، وعصيان، ويقوم باللازم وزيادة، حتى تتعاطف الأم مع ابنها، وتتدخل لإنقاذه من براثني.

يكبر الجميع، وتسعى مشاغل الحياة إلى تفريقنا، لكن تظل أمي هي الرباط المقدس الذي يجمعنا، ويقربنا، ويحتضنا، وهي الشجرة الوارفة التي نستند إليها جميعًا في أزماتنا، ولحظاتنا الصعبة، أخواتي في ولادتهم، وأنا في مشاكلي وأزماتي ورحلتي الشاقة..

ويومًا بعد يوم،

لم يعد ذلك الطفل الذي يلعب في الشارع في رمضان قبل الفطار، ولم يعد ذلك الخال الصغير الذي يلاعب أطفالًا صغيرة.

فبينما صار محمد المولود في رمضان ١٩٩٠ شابًا يافعًا يقترب من العشرين سنة، يقف بجواري كالشحط، لازلت أحمل مُلة سرير وحزام جلد، وأوسعه ضربًا.

لم أكتشف كيف يجري العمر بي، وتقطع السنوات الطريق مسرعةً، إلا عندما وجدت فتاةً رقيقة تقف بجانبي وأنا منهمك في القراءة، فتاة على وش جواز تقف بجانبي في هدوء، وتضع يدها على كتفي، وتمنحني قبلة في خدي، فألتفت إليها في دهشة فقالت:

وحشتني يا خالو.

حاجات قديمة لسة بعملها

١- لسة بقلي لب البطيخ.. وأرى مذاقه مملحًا غاية في الروعة.

٢- لسة بحط باكو البسكويت كله في الشاي، وأكله بالمعلقة معجنًا.

٣- لسة بجلد الكتب.. وإن تغيرت طريقة التجليد من الخيشة، إلى الجلاد، إلى السيلوتيب العريض.

٤- لسة بحط خط بالقلم الرصاص تحت السطر اللي يعجبني في الكتاب.

٥- اكتشفت إن لسة عندي قلم رصاص خشب، وبراية، وأستيكة، ومسطرة.. لأ ومنقلة كمان.

٦- لسة بشرب ببؤي من الحنفية مباشرة.. وهي العادة التى تعودت عليها منذ أيام التشرد الأطفالي.

٧- لسة عندي بيجامة قماش كستور مقلمة، من اللي طلع بيها فؤاد المهندس في فيلم أرض النفاق.

٨- لسة بلعب أتاري الطيارات والغواصات (ألحق الطعم قبل ما ينفجر.. وخش البنزينة عشان تمون الطيارة).

٩- لسة بحوش (نقى) المشمش على أمل استخدامة في اختراع مجهول.

١٠- لسة بنحت قشر البطيخ.

١١- لسة لما النور بيقطع، بحط الشمعة على حتة مراية؛ عشان تعكس النور أكتر.. والأغرب إن لسة النور بيقطع عندنا كل يوم.

أحمد الطباخ

طبعًا ليس من عادتي أن أتحدث عن نفسي، وعن عبقريتي وقدراتي الفظيعة، خصوصًا إبداعاتي الغذائية التي يندى لها الجبين في عمل أكل شهي بديع عجيب..

إنما أنا – بعونك يارب – ظاهرة لم تتكرر منذ فجر التاريخ، وأعوذ بالله من كلمة ظاهرة.

ذهبت أمي مع أخواتي في مهمة رسمية إلى أختي التي أخرجت إلى الدنيا مولودًا جديدًا، وبقيت أنا وحدي في المنزل كما قرد قطع، وكان لابد لي أن أقتحم المطبخ، متحديًا الصعاب، ومستلًا سكينتي ومعلقتي ومغرفتي، وألملم أشلاء الخضار، والطماطم، والحلل، والغطيان، والزيت، والسمن، وأثبت للعالم أجمع قدراتي الغذائية العجيبة.

انفردت بالمنزل، فانطلقت كحصان جامح إلى السوق، واشتريت كميات مهولة من الخضار، واللحمة، والبيض، والسمك، والعطارة،

وعسكرت في المطبخ، معلنًا حالة الطوارئ الرسمية، وحالة تعبئة عامة من الدرجة القصوى.

أول يوم رمضان

المكرونة تمام التمام، حاجة روعة، طعمها شبه المكرونة بالظبط، وعملت صلصة جبارة.. بصل، وطمطام، وملح، وتوابل، إنما إيه واااو.

الرائحة تصل إلى أنف كل مواطن في الحى، وأغلب ظني أن لعاب البشرية جمعاء قد بدأ يسيل، وأنهم بدأوا يتشممون الرائحة الشهية، وأشعر بقرب هجوم بشري على المنزل؛ من فرط طعامة الرائحة.

صحيح كان لونها غامق شوية، لكنها شهية بشكل بشع، واللحمة خُرافة.. متشوحة كدة، وريحتها إيه فظيعة، ولا السلطة.. واااااو.. طول عمري فنان ومبدع، والمغرب قالت الله أكبر، وظللت آكل إلى أن نادت العشاء أنَّ "الله أكبر".

بعد الفطار

فضلت مبنج كدة، وحالتي ميؤوس منها، وعندي حالة إمساك شديدة، أعقبها حالة إسهال شديدة، ثم حالة نوم وخطرفة ثم انتفاخ.

تاني يوم رمضان

صممت إن الأكل اللي بعمله حلو، وقمت بدعوة مجموعة من

أصدقائي، وعملت حاجات كتيير شبه الطعام بالظبط.. طبيخ، ورز، ومكرونة، ولحمة، وسلاطات.. إلخ.

وأكلوا جميعًا حتى الثمالة..

بالليل، قبل السحور، حاولت الاتصال بهم، لكن تليفوناتهم مقفولة.. لازالوا يصلون التراويح؟

تالت يوم رمضان

قررت الأكل في أي مطعم أو طلب ديليفري..

لا طبعًا.. مش انهزام، أو لإن أكلي وحش لا سمح الله..

لكن نزولًا على رغبة الجيران، ورغبة والدتي العزيزة، التي طلبت -مني في شيء من الشفقة - شراء الأكل جاهزًا من الخارج..

هذه هي غيرة النساء من الرجال المبدعين..

لم أتوقف عن عمل الأكل بنفسي، بل بدأت في تدوين ملاحظاتي أثناء رحلة الطبخ؛ رغبة في نشر خلاصة تجاربي على البشر، لربما هناك من يود أن ينهل من علمي الغزير:

أولًا: إن قلي البيض بالبسطرمة، لا يفضل في أطباق بلاستيك، ويفضل قليها في الطبق، أو الطاسة المعدنية، وبكرة إن شاء الله هجرب الأطباق الصيني.

ثانيًا: إن المكرونة مش مهم تبقى كل مكروناية لوحدها، لكن ممكن تكون مكعبات، أو كتلة واحدة كبيرة ويتم تقطيها بالسكينة، مع أخذ بوْ صلصة ورا كل حتة عشان تبلع.. عاااااا إهئ إهئ.

ثالثًا: إن الشيء الأبيض ده اللي بيبقى على المكرونة بالبشاميل من فوق، مش بيبقى زبادي زى ما كنت فاكر.

رابعًا: إن عمل الكاتشب في المنزل غير مستحب، ويفضل شراؤه من برة، حيث أنه يحتاج لكمية ضخمة من الشطة على البيض؛ عشان يحمر، وبعدين طعمه مش بيبقى حلو زي بتاع برة – مش عارف ليه.

خامسًا: إن شراء الأكل من أي مطعم أو عربية – حتى لو من عند حسن كوليرا وعبدة تلوث – هيبقى صحي أكتر من الأكل اللي بعمله.

وما نجيلكومش في طبيخ.

تجربتي في لم الغسيل

في مهمة رسمية نظرًا لهطول بعض الأمطار، قررت أن أقوم بلم الغسيل من البلكونة.. في حركة شمللة غير معهودة، وهي الحركة التي إن دلت عن شيء فإنها تدل على روح المغامرة، وحب التضحية، وإنكار الذات الذي أتميز بهم من صغري، وهى ليست المرة الأولى، فقد قمت ذات مرة بغسل بنطلون، ومرة قميص في إحدى نوبات المغامرة، والتضحية، والاجتهاد..

تذكرت وأنا قادم على المهمة الصعبة، ذلك الخبر الذي كان يقول "كثيرًا ما تتعرض النساء إلى مواقف مزعجة في فصل الشتاء عند نشر الغسيل، وذلك عندما تمطر السماء مع اقتراب جفافه، إلا أن طالبًا بريطانيًا اخترع مشابك غسيل تتنبأ بحالة الطقس، حيث أنها تغلق ولا يمكن فتحها إذا كان المطر على وشك الهطول".. مش كانت المشابك دي حلت أزمة.

اكتشفت أن "لم" الغسيل مهمة أصعب كثيرًا من الذهاب إلى المقطم

والرجوع خمس مرات، وأصعب من مهمة الجلوس في أتوبيس ١٧ في الثامنة صباحًا.

فقد بدأت أعراض شيخوخة مبكرة في الظهور عليَّا، وبدأتْ في النهجان بصوتٍ عالٍ مثل حمار يجر عربة كارو في مطلع، وشعرت أنني على وشك السقوطِ في الشارع؛ نظرًا لطولي الزائد غير المبرر، وكنت أحتضن المشابك والغسيل - كأم تحتضن ابنها - خوفًا من وقوعهم في الشارع.

رغم ذلك تم بحمد الله وقوع عدد ٦ مشابك، و٣ قمصان، وبنطلونين، وخمس شرابات في الشارع.. وتم استدراك الأمر فيما بعد بالنزول إلى الشارع، وجمعهم وسط مشاهدة وانبهار الجيران بي، وقامت أمي بغسلهم مرة أخرى، وعلى وجهها نظرة - غير مفهومة - من الإحباط ،والاشمئزاز، والقرف، والنرفزة، وخليط من بعض الصفات الإنسانية غير المفهوم سببها.

أشعر بظلم بيِّن، وإجحاف لحقي.. أنا المجتهد، المتعاون، المغامر، الجدع الذي قمت مرة بغسل بنطلون جينز بنفسي، بل وقمت بنشره أيضًا.. صحيح كانت المأساة حين ذهبت أمي لتقوم بـ "لـه".. فوجدت بالبنطلون ممسوك بواسطة خمسة وعشرين مشبك، ولم تفهم أمي وقتها موضوع الخمسة وعشرين مشبك، لكنني أوضحت لها فيما بعد الحالة التي انتابتني أثناء النشر من رعب وخوف من وقوع البنطلون في الشارع، فقمت بوضع خمسة وعشرين مشبك لتمسكه في حبل الغسيل جيدًا..

وكان رد فعل أمي وقتها، شبيهًا برد فعلها إزاء وقوع قائمة الملابس المذكورة أعلاه في الشارع اليوم.

تجارب نسائية وأمهاتية عديدة قمت بمحاولة خوضها مثل الطبيخ، والغسيل، و"النشير"، والتنظيف.. وبائت جميعها بفشل أكثر من "الذريع" بشويتين.

والسؤال هنا.. هل توجد معاهد أو مراكز تعلم الرجال بعض المهارات الأمهاتية.. مثل: كورس لم غسيل.. بحيث أستطيع لم الغسيل بدون الحاجة إلى إعادة غسل الملابس مرة أخرى. أو كورس في عمل السلاطة.. بدون حدوث تفعيص حاد للطماطم ينتج عنه ما يشبه عصير طماطم، وعليه خس وخيار وبصل.. ويسمى الكورس "تعليم عمل السلاطة.. بدون تفعيص.. في ثلاثة أيام"

صديقي العزيز..

إذا وقع عليك يومًا من إحدى البلكونات بنطلون فوق رأسك، وأنت تمشي في الشارع..

فلا تقلق.. أنا بلم الغسيل.

غطيني وفلانتين عليَّا

ويأتي الفلانتين هذا العام كئيبًا ككل عام بلا حبيب..

كل عام أخرج إلى الشوارع، فأجد مليارات الدباديب ومعاهم شوية عشاق كدة ماشيين جنبهم، وأجد بلايين القلوب الحمراء تتقدم مواكب ثنائيات الأحبة.. وأسير أنا كما "قرد قطع" وحيدًا متفردًا، فأبدو كزنجي أسود يمشي بين أهل الإسكيمو.. الجميع يلمحني، ويميزني، ويشير إليَّ بالبنان، والعطف، والشفقة.. وأذكر أن أحد العشاق في الفلانتين الماضي وضع ربع جنيه في جيبي، وربت على كتفي.

وكنت قد قررت في عام من الأعوام، ألا أخرج يوم الفلانتين؛ حتى لا أصاب بالقهر السنوي المعتاد.. وعندما فتحت التليفزيون وجدت دباديب وقلوب.. أفتح الإنترنت أجد دباديب وقلوب.. أفتح البوتجاز.. دباديب وقلوب.. أفتح التلاجة.. دباديب وقلوب.. خبطت دماغي في الحيط غيظًا، وكمدًا فنزفت دباديب وقلوب.

بعض أصدقائي من ذوي الدباديب والقلوب، يتعمدون إرسال رسائل تهنئة لي بمناسبة الفلانتين.. فأرد لهم الرسالة لاعنًا سنسفيل جدودهم.. فيضحكون شامتين.. وأخيرًا رشيت عليهم شوية مية، قائلًا وأنا بجز على أسناني: ياللا ياض يا كلب منك ليها من هنا.. بلاش مياصة، وقلة أدب.

قال فلانتين قال.. امممم.. سمعت فتوى بتقول إن الفلانتين حرام؛ لإنه ليس عيدًا للمسلمين.. قشطة أوي.. عندما سيسألني أحدُ: هتقضي الفلانتين فين؟ ومع مين السنة دي؟.. سأجيب بسرعة: عيد الحب حرام.. فليس في الإسلام ما يسمى عيد الحب.. أيوة كدة تمام..

قال يعني أنا واد حبيب، ومقطع السمكة وديلها، وهيمنعني بس إن عيد الحب حرام.. طب ييجي الحب كدة، وأنا أطلع له من على الإنترنت خمستلاف فتوى بتقول حلال..

والسنة دي.. "سنة فلانتينية غير عادية".. أصبت بنزلة برد شعبية معوية رئوية حادة.. جعلت مناخيري لونها أحمر طبيعي.. يعني فلانتين إجباري كدة، وارتفعت حرارتي واحمر وجهي بشدة، ومنعتني عن الكتابة لفترة طويلة.. يعني حتى لن أستطيع كتابة كلمتين رومانسي كدة أعمل فيها إني واقع لشوشتي في الحب.

طب إيه العمل؟؟

قررت النهاردة إني اخرج بكرة في الصباح الباكر.. أذهب إلى أكبر محل لبيع أدوات الفلانتين في وسط البلد.. وأجمع تحويشة العمر.. وأشتري

أكبر دبدوب فيكي يا مصر.. وأشتري قلبًا أحمر سبع أوض وصالة.. مش قلب أبو مهجتين العادي ده بتاعنا.. وبعدين أشتري صندوق هدايا ملون ذا فيونكة حمراء كبيرة، على أن يكون الصندوق في حجم عربية نقل.. وأحمل أدوات الفلانتين، وأسير في شوارع القاهرة متفاخرًا وأنا لابس الحتة الزفرة.. على أن أنظر في الساعة كل دقيقة (قال يعني مستني حبيبتي، وهي اتأخرت عليا) وأظبط الموبايل يرن كل ربع دقيقة..

يعني باختصار أكيد الأعادي.. وأعيش جو الفلانتين على أكمل وجه، مش مهم بقى، أودي الدبدوب، والقلب، والصندوق فين في الآخر.. المهم إني ما أحسش إني وحيد.. وعشان ما أموتش، وأنا محروم من الفلانتين.. أما الأدوات دي ممكن أرميها في النيل بعد ما أخلص.. أو أتبرع بيها لدار أيتام العشاق.

صديقي العزيز..

إذا كنت تمشي صباح الغد في شوارع وسط البلد المزدحمة بالمحبين.. ووجدت شابًا طويلًا يسير وحيدًا حزينًا في شوارع القاهرة.. يحمل دبدوبًا ضخمًا جدًا في حجم منزل من طابقين.. وقلبًا أحمر أكبر منه.. وصندوقًا ملونًا كبيرًا في حجم عربية نقل.. فابتسم.. إنه أنا.

أحمد الصبَّاغ.. ملك جمال لبنان

كان حلمًا جميلًا أن يكون لي على الإنترنت موقعًا تشاهده البشرية من مشارق الأرض إلى مغاربها، وتتجلى صورتي في عيون سكان المعمورة.. (وسيدي بشر).. وأن أكون مستلقيًا في سابع نومة في الوقت الذي يتابع سكان العالم إبداعاتي وإنجازاتي التي لا أدري ما هي حتى هذه اللحظة.

وأن تكتب اسمى في جوجل، فتأتيك أخباري من كل فج عميق، ويحلف لك جوجل على المصحف إنه قد عثر على ٤,٢٣٥,٣٥٢ نتيجة بحث، وآلاف الصور والجروبات الفيسبوكية، والمنتديات التي ترزح بجمهوري الغزير من المحيط إلى خليج السويس، والعتبة، والجيزة.

ولكن تأتي الرياح، بما لا يشتهي الـ User..

لم يصبح لي موقعًا رسميًّا، لكن أصبح لي مدونة إلكترونية، على موقع بلوجر الشهير، وهو الأمر الذي أشبع جزءًا من رغبتي، ويومًا بعد يوم أصبَحت لي صداقات واسعة في عالم المدونين الإلكترونيين، وأصبحت

أحضر لقاءات الشباب، والمثقفين، وإفطارهم الجماعي في رمضان، ومحافلهم الثقافية، وزيارتهم الخيرية، وأصبحت مدونتي معروفة إلى حد كبير في تلك الأوساط الشبابية.

وبعد عدة أشهر، لاحظت شيئًا غريبًا، لم أفهم له تفسيرًا في البداية.. أن ثمة رسائل وتعليقات تأتيني لتسألني عن أحوال الناس في لبنان، وعن آرائي في بعض الأعمال الفنية، والبرامج التليفزيونية اللبنانية، وبعض الأصدقاء على الشات يحاولون جاهدين أن يشكروا في لبنان وأهلها، مؤكدين أن أهل لبنان يتسمون بالطيبة والجمال، وأن لبنان كما هي بلد الجمال الأول، فهي بلد الثقافة والنشر والكتب.

إلى أن قال لي صديق ذات يوم على الشات: والله عجبتني أوي المواقع اللي بتتكلم عنك، بس الصور اللي على المدونة مختلفة شوية عن الصور اللي نشرهالك الجرايد.

واسبهليت..

وذهبت إلى جوجل، حاملًا ماوسي، وكيبوردي، وكتبت:

أحمد الصباغ

وكانت المفاجأة..

أحمد الصباغ من أصل لبناني، يبلغ من العمر ٢١ سنة، طالب جامعي يتخصص في العلوم السياسية، ويدير الآن منصب مدير إداري في المستشفى

التابع لوالده.. وقد تمكن أحمد الصباغ من التغلب على ١٦ شخص وصلوا إلى المرحلة النهائية في مسابقة ملك جمال لبنان لعام ٢٠٠٨، وسيشترك الصباغ في مسابقة ملك جمال العالم في كوريا الشماليه، حين سينافس ٥٠ متسابق للوصول الى لقب ملك جمال العالم.

أحمد الصباغ.. ملك جمال لبنان لعام ٢٠٠٨؟

جريت على المرآة، وحملقت فيها، فتأكدت أن الخبر به سوء تفاهم، وأن هذا الشخص بتأكيد صباغًا آخرًا، مش عشان حاجة، ولكن لأنني لم أحمل الجنسية اللبنانية في يومٍ من الأيام.

بعد أيام قليلة، بدأت تساؤلات مباشرة من خلال التعليقات، والشات، ومقابلات الأصدقاء الإنترنتيين عن قصتي مع الفوز بجائزة ملك جمال لبنان.

لدرجة أن فتاة جميلة حدثتني على الشات، وأبدت انبهارها بقدرتي على الجمع بين الثقافة والجمال في نفس ذات الوقت، وكيف أن قلمي مبدع في الوقت الذي بهر جمالي البشر في لبنان، فاختاروني لذلك اللقب المهم جدًا في ذلك البلد الذي يقدّر الجمال ويعشقه، وتمدح في قراري باتخاذ مصر بلدًا لي.

فكرت في البداية في استغلال هذا التشابه في عملية "نصب عاطفي"، خصوصًا أن فتيات جميلات أبدين إعجابهن بي، وأنا ضعيف جدًا إزاء كل هذه الكمية من نون النسوة، لكنني تذكرت العاقبة الوخيمة، عندما ترى

تلك الفتاة وجهي الكريم، وتكتشف الحقيقة المُرة بذات نفسيها، وتشاهد بنن عنيها إنني لا أصلح حتى لإن أكون ملك جمال شونبونجو..

ثم مع مرور الأيام، بدأت بعض الإيميلات تتساءل عن سبب خلافي مع إلين خلف!

وجريت بسرعة أجمع المعلومات، وأنا مذهول وخاصة عندما قرأت أحد الإيميلات ينصحني بأن أخزي الشيطان، وأهدي أعصابي، وأرجع لحبيبتي، وإيميلات أخرى توبخني بشدة وتوجه لي السؤال المتكرر كثيرًا، كيف أسمح لنفسي أنا المسلم الارتباط بامرأة مسيحية، وتكبرنى في السن بأعوام، ثم إيميلات أخرى تنتقد صوري الأخيرة مع إلين، وبيني وبينكم، أنا خفت ليشيلوا العدة.. فوضحت علنًا أنني لست أحمد الصباغ ملك جمال لبنان، وإنما أنا أخوكم الصغير حلاوة.

لكن الحمد لله لم يشأ جوجل أن يكسر بخاطري..

فبعد أيام وأسابيع وشهور، أخذَت مدونتي ترتيبًا عاليًا متصدرة نتائج البحث عن "أحمد الصباغ" بل عن كلمة الصباغ فقط بالإضافة إلى آلاف من كلمات البحث المفتاحية الأخرى، التي ما إن تكتبها حتى ياخدك جوجل من إيدك إلى مدونتي.

وفرحت كثيرًا، حتى وجدت أن هناك أحمد الصباغ لاعب فريق السلة بنادي الاتحاد السكندري، بالإضافة إلى صباغين كثيرين ينافسوننى في حب جوجل.

انتصرت على ملك جمال لبنان في حب جوجل، لكنني لازلت على استعداد للتنازل عن صدارة جوجل مقابل بعض من الوسامة الصباغية اللبنانية..!

كسبت مليون جنيه

اليوم هو يومُ تاريخي في مشوار حياتي.. قد تغيرت كل الامور بشكل عجيب ومفاجئ.. فقد ربحت مبلغ مليون جنية في مسابقة تليفزيونية، كنت قد اشتركت فيها من أسابيع سابقة.. جاءني جواب على عنواني يخطرني بالفوز، ويطلب الذهاب لاستلام الجائزة.. والجائزة خالصة الضرائب.. والجواب مختوم بخاتم رسمي.

لم أصدق نفسي، وأنا أمامي المليون جنيه في غرفتي.. تتراص في حجم منضدة كبيرة في لوحة رهيبة المنظر.. عشت أجمل لحظات الفرحة.. مليون جنيه!

أمي وأخواتي والمخاليل ولاد أخواتي يحيون لحظات من الذهول واللاوعي، وأنا كتمت السر عن كل أصحابي.. العين بتفلق الحجر.. هكذا قالت أمي.

عربية نصف نقل حملت صندوقًا خشبيًا ضخمًا في منتصف الليل إلى منزلي.. وتم تحميله وتفريغه بجوار السرير في غرفتي.

مليون جنيه..

أستطيع الآن، وبكل جدارة أن أحقق كل أمنياتي المتواضعة دائمًا في الحياة، شقة محترمة ١٦٠ متر تشطيب سوبر لوكس في مكان معقول.

وعربية نيسان صني التي هي أقصى طموحي السياراتي، وموبايل " آي فون" سعة ١٦ جيجا، ولاب توب توشيبا تاتش سكرين، وشوية رفايع.. كاميرا ديجيتال "إس إل آر" نيكون، وكاميرا فيديو "سوني" هاي ديفينيشن، على كمبيوتر منزلي حديث كامل من مجاميعه..

على شوية إم بي ثريهات، وشوية كتب، وعضوية في نادى محترم..

اليوم.. أصبحت شخصًا آخرًا، شخصًا لا يرفضه مدير كموظف، ولا ترفضه فتاة كعريس، ولا يرفضه شاب كصديق، ولا يرفضه مواطن كجار، أستطيع الآن أن أختار شريكة عمري كما أود.. لا كما الظروف تقتضي.

لابد أن تكون جميلة.. مفرطة الجمال، وأن تكون مثقفة، ومتعلمة، ودلوعة، ورومانسية في نفس الوقت، والحب سيأتي بالتأكيد إن كانت مفرطة الجمال، ومثقفة، ومتعلمة دلوعة، ورومانسية.

لن أقاطع أصدقائي الفقراء، فأنا لست قليل الأصل، بالعكس..

سأحنو عليهم، وسأساعدهم، وأقدم لهم مساعدات مادية عاجلة، وستكون كل جلساتي مع أصدقائي على القهوة على حسابي.

سأحنو على أهل الحتة الفقراء، وربما تجد طابورًا طويلًا من الفقراء أمام شقتي الجديدة خلال شهر رمضان، وفي الأعياد.. جاءوا يلتمسون المساعدات التي لن أبخل بها بالتأكيد.

لابد أن تكون العربية الـ "نيسان صني" مكيفة.. وفول أوبشن، ولونها فضي.

أستطيع الآن أن أعمل زيارة سياحية سريعة لدولة أوربية في حدود عشرين ألف جنيه.

سيتبقى لي رصيد في البنك لن يقل عن ربع مليون جنيه.

أضمن منه عائد يضاف إلى مرتبي، فيضمن لي حياة مستريحة بدون أي ضغط أعصاب أو إرهاق مادي

ما أحلى الشعور بالراحة.. والتعب دائمًا تسببه قلة الفلوس.. لا يشعر بهذا الشعور سوى شخص يمتلك مليون جنيه حلال.

مشكلة وحيدة تعترض هذا الحدث الرائع..

مشكلة بسيطة جدًّا..

لكنها تقلب موازين تخطيطي رأسًا على عقب، وتبدد كل أحلامي..

أن هذا الفوز قد حدث في أواخر عام ٢٠١٩م

وكنا وقتها في أواخر أيام شهر يناير الشتوية.

وكنت لحظة استلامي الجائزة، لا أتخيل حجم مشكلة إننا في عام ٢٠١٩م وكنت أظن أن هذا الأمر عادي

لكن في اليوم التالي، وعندما استيقظت في الصباح.. ذهبت لشراء ساندوتشات الإفطار.. وكان ساندوتش الفول بـ ١٢٥٠ جنيه..!

وساندوتش البطاطس الصوابع بـ ١٧٥٠ جنيه..!

واشتريت اتنين فول، وواحد بطاطس، ودفعت ٤٢٥٠ جنيه..!

ورفض البائع إعطائي طرشي، وقال هات خمسميت جنيه لو عايز طرشي..!

وبعد أسبوع من الراحة بدون عمل، اضطررت للعودة إلى الشغل مرة أخرى لنفاد آخر مليم في جيبي.

وبعد عودتي من العمل قالت أمي:

يعنى ماكنوش يبقوا ٢٠٠ مليون جنيه؛ عشان نعرف ندفع لك عربون تلاجة.

مؤخـرة

العلاقة بين الكاتب والقارئ

العلاقة بين الكاتب والقارئ تكون في معظم الأحيان مثل السمنة على العسل، إذا اتفقت الآراء، وتلاقت الرؤى، وتوحدت الأغراض، بل قد تكون كما السكينة في الحلاوة إذا كان الكاتب يشارك القارئ همومه ومشكلاته، ويعبر بكلمات نافذة عما يؤلمه، ويقد مضجعه، أو أن يكون كلاهما محدود الدخل، أو كلاهما يتبع أقلية ما، كأن يكون كلاهما زملكاويًا مثلا.

وقد يظهر الكاتب في مقاله سعيدًا مبتهجًا، فينشر البهجة والمرح فجأة على القارئ الذي يخفي وجهه عن زوجته بالجرنال، فتخرج غصب عنه على شفتيه ابتسامة، سرعان ما تلمحها زوجته، فيخفيها بسرعة، وتحل محلها تكشيرة إنجليزي أصلي، ويعود ليلعن سنسفيل جدود الكاتب الذي لديه بال رايق للابتسام، والمرح، والكلام الفارغ.

وقد يجهش القارئ بالبكاء تعاطفًا مع الكاتب المسكين، إذا استشعر

من أحد المقالات أن الكاتب مزنوق ماديًا، أو أن زوجته معكننة عليه عيشتهُ، أو إنه متخانق مع رئيس تحريره النكدي الذي لا يعجبه العجب، ولا الصيام في رجب، بل قد يمتد الأمر لإن يلم القارئ قرشين من بعض القراء الأصدقاء للوقوف بجانب الكاتب المسكين.

وقد تنشأ علاقة نسب بين القارئ والكاتب، مثل صديقي هذا الذي كان يكتب لإحدى المجلات الكويتية، وآثر أحد القراء أن يزوجه ابنته، فعاد صديقي من رحلة عمل بزوجة وثلاثة أولاد.

وقد يهادي القارئُ الكاتبَ بكوزين لانشون بيف إذا كان بقالًا، أو نص كيلو لحمة بدون شغتة إذا كان جزارًا، أو بعلبتين زبادي إذا كان لبانًا، أو يغدق عليه بالجوافة البلدير والمانجة الفونس، والعنب الأحمر، والبلح الكهرمان.. إذا تصادف وكان القارئ فكهانيًا.

أما الكاتب فهو في جميع الأحوال فكهاني، ولكنه فكهاني من نوع آخر.. (فكهاني كلام).. يحرص على إرضاء القارئ حرصه على لقمة عيشه، ويغدق عليه بالكلام الذي يبسطه، ويسترضيه، ويستعطفه، ويطيب بخاطره، ويتحمل سخطه وغضبه ولعناته، ويقف بجواره في الأزمات، ويستخرج الكبت السياسي المخزون في جوانحه، ويلعن معه أبو الزوجة النكدية، والمدير المستبد، والرئيس الظالم، والجار المزعج، والحكم المرتشي الذي احتسب فاولًا ضد الزمالك.

وفي رحلة الكاتب في عالم الكتابة، قد يضطر لتقديم بعض أو الكثير

من التنازلات، وتصبح كتاباته كتابات موجهة، تسير وفق أجندة ما، وغالبًا ما تكون هذه الأجندة هي نفسها أجندة الجريدة التي يكتب فيها، وربما تكون محكومة بسقف حكومي، أو أن يكون الكاتب قد اشترى قلمه من الحزب الحاكم، أو قد يكون الورق منحة من جهةٍ ما.. راجع الجرائد القومية.

وفي هذه الحالة يحدث كثيرًا أن يكون القارئ ذكيًا لماحًا صايعًا، فيلتقط بقرون استشعاره انحناء قلم الكاتب، واعوجاجه، وموالسته، ويتشمم تلك التنازلات، أي أنه من الآخر بيفقس الكاتب، فيبتسم القارئ في خبث، وقد يمسكها ذلة للكاتب، أو يفسرها بأن ضغوطًا ما تُمارس على الكاتب، فيهمس في أذن صديقه على القهوة قائلًا: الكاتب ده متهدد.

وهكذا تظل العلاقة بين القارئ والكاتب علاقة (توم جيرية) من الدرجة الأولى، يحاول فيها الكاتب أن يبدو مناضلًا بطلًا مغوارًا في نظر القارئ، فينجح أحيانًا، ويحظى بمكانته الكبرى لديه، أو يفشل أحيانًا أخرى حين يفقسه القارئ.

محدش يجيب في سيرتي الذاتية

- أحمد حنفي محمود الصبّاغ.
- وُلد وترعرع فى القاهرة فى ٢٦ أغسطس ١٩٧٩م.
- تخرَّج في كلية الزراعة، جامعة القاهرة، قسم Biotechnology عام ٢٠٠١، ويعمل في مجال الأجهزة العلمية والكيمياء الحيوية.
- يمارس الكتابة الصحفية في العديد من المجلات الإلكترونية، والمطبوعة، والصحف منذ عام ٢٠٠٧ - وكتب لجريدة الدستور، وجريدة العربي الناصري، جريدة أسرار الغد، جريدة الشارع بالإضافة إلى مجلة كلمتنا، ومحررًا للقسم الساخر بجريدة المال والعقار الاقتصادية، وللقسم الساخر بمجلة ميكانو الشبابية الإلكترونية.
- يمارس التصوير الفوتوغرافي، وشارك في عدة معارض مشتركة منها معرض بيت السحيمي برعاية وزارة الثقافة، والمعرض الخيري بالإسكندرية

Photography for charity organized by EMSA-Alex

- استطاع بعد جهد جهيد أن يحصل على إيميل مجانى دون أن يدفع قرشاً واحداً

sabbaghmail@yahoo.com

محتويات الكتاب

إهـداء ٥

الضرب في الميت بكام؟ ٩

الفصل الأول: الإنسان وزعابيبُه ١٣

الحياة شكلها باضت ١٥

لقمة عيش ٢٨

أشياء توضع في الفم ٣٣

اليوم العالمي للهجص ٤٤

خوازيق النجومية ٤٨

خوازيق المحبة ٥٣

محلات الصَّباغ للتنمية البشرية ٥٧

الفصل الثاني: شعب مصر ٦٣

يوميات كائن مواصلاتي ٦٥

أشهر شائعات عن المسلمين والمسحيين في مصر ٧٣

الفرحة الأورديحي ٨٤

فرحة اللحمة ٨٧
الأرض بتنشق وتبلعنا ٩١
الفتوى التي قصمت ظهر البعير ٩٦
الفلوس والريس برايز ١٠٥
بورتريه مصري حزين ١٠٩
طباشيرة قرن غزال ١١٥
استرجل، واشرب سكالانس ١٢١
مصر أم البركة ١٢٤

الفصل الثالث: محشي ورق جرايد ١٢٧
الذكرى الأربعون للهبوط على سطح القمر ١٢٩
أنفلونزا مصر ١٣٣
الجسدولوجي ١٣٩
سيارة بدون رئيس ١٤٣

الفصل الرابع: السياسة مُهلِكة ١٤٥
كلام خادش للحياء العربى ١٤٧
ثورة الـ ٢٠ من محسن ١٥٢

الفصل الخامس: تابوهات ١٥٧
خيانة مفقوسة ١٥٩

غشاء بكارة صيني ١٦٢
المانيكان العريان ١٦٥

الفصل السادس: Keyboarding ١٦٧
جمهورية مصر الإلكترونية ١٦٩
حيٌّ على الجهاد الإلكتروني ١٧٤
أسئلة الشات العشرة ١٧٧
عيد ميلاد الإنترنت ١٨٧

الفصل السابع: ماما زمانها ليلى ١٩١
ليلى.. الأنثى المصرية ١٩٣
أهم عشر حاجات في حياة ليلى ١٩٦
أسوأ عشر حاجات في حياة ليلى ٢٠٧

الفصل الثامن: فتيات مرُّوا من هنا ٢٢١
فتاة التليفون ٢٢٣
فتاة الكشري ٢٣٠

الفصل التاسع: أنا ٢٣٣
حبة موغـات ٢٣٥
خالو أحمد ٢٤٠

حاجات قديمة لسة بعملها	٢٤٩
أحمد الطباخ	٢٥١
تجربتي في لم الغسيل	٢٥٥
غطيني وفلانتين عليًا	٢٥٨
أحمد الصبَّاغ.. ملك جمال لبنان	٢٦١
كسبت مليون جنيه	٢٦٦
محدش يجيب في سيرتي الذاتية	٢٧٧

ستعشق هذا الكتاب..

- إذا كنت من عشاق الكشرى أو من هواة التصوير أو من محبى عض الأطفال، أو رّكاب أتوبيس 17 أو من رواد طابور العيش، أو ممن يخوضون تجربة لمّ الغسيل فتلحق بهم – وبالغسيل – المصائب.
- إذا كنت من الذين يدخلون على الفيسبوك فى محاولة يائسة لرسم خيال جميل فى ظل واقع مهبب.
- إذا كنت من الذين يركبون الأوتوبيس فى العشرين ربيعاً فينزلون أخر الخط فى السبعين خريفا.
- إذا كنت من المتسائلين عن شعور الحانوتى تجاه كبار السن، وعن شعور رجل المطافى تجاه مجلس الشورى والمسرح القومى.. وذلك باعتبارهم الزبائن المنتظرة. ليس هذا فقط، لكن أعدك إن كنت واحداً من هؤلاء المذكورين فستعرف حتماً من هو ذلك الميّت المضروب.

الغلاف : عبد الرحمن الصواف

دار المصري للنشر